من دفائن الكنوز

مجموع يحتوي بعد المقدمة على :—

وقف على طبعه وعني بنشره خادم السنة النبوية

محمد حامد الفقي

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر

الطبعة الاولى في مطبعة المنار بمصر

١٣٤٩ هـ

١٩٣١



ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل الله فلا هادي له . وأشهد أن لاإله الا الله وحده لاشريك له ، ولا ند له ، ولا كفء له، العلي فوق سمواته، المستوي على عرشه استواء حقيقيا يليق بجلال ذاته، المنزه عما يزعمه الجهلة المعطلون لصفاته ، المتعالي عما يجول بخواطر من عميت بصائرهم وضاقت حظائرهم ، فلم يفقهوا الحق من واضح كلماته ، وعمّى عليهم طريق الهدى شبهات فن الجدل المحدث وترهاته ، فأصبحوا يتخبطون في ظلمات الباطل وعماياته، وقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوا خطواته

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أفصح عن العلم الصحيح وآياته ، وأبان طريق الهدى إبانة لم تبق اشكالا، وقطع بصريح قوله ألسنة الكذب فلم يبق لحائر مجالا . فهدى الله به من الضلالة، وبصر به من العمى ، وأخرج به من الظلمات إلى النور ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه وأزواجه وذريته ومن تبعه باحسان إلى يوم الدين

(أما بعد) فيقول الفقير الى الله تعالى ، الغني بفضله وواسع رحمته عن كل ماسواه ـ محمد حامد الفقي : إن مما منّ الله به علي — وله الحمد والمنة — أن شغف قلبي حب السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ، والرغبة الشديدة في كل ماأثر عنهم من قول وعمل ، واني لذلك دائم البحث والتنقيب عن آثارهم ، واستخراج دفائن كنوزهم ، فانها ـ وربك ـ خير ما يتحلى بها جيد المؤمن الصادق الحب لله وللرسول ﷺ ولدينه ومن تبعه، وانك لتجد في كتب اولئك السلف وآثارهم

من الحلاوة وروح الاخلاص ما لا تجده في غيرها ، بل انك لترى نور الحق يشع قويا من بين سطورها ، ولسان الصدق ينادي صيتا من جملها وكلماتها ، فانها بريئة من التكلف ، بعيدة عن التعمل والتصنع ، منبعثة عن روح الصدق مستنبطة من قلوب صافية ونفوس زاكية

واننا لم نرم بما رمينا به من البعد عن روح الاسلام ، وما تبع ذلك من غلظة في القلوب وجفوة في الطباع ، وما جر وراءه من تفكك العرى وتقطع الوشائج والارحام ، وذهاب الخير والبركة — ما كان شيء من ذلك الا بانصرافنا عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أولا ، وباهمالنا آثار السلف الصالح وثمرات عقولهم ونتائج جهودهم في خدمة الاسلام ، ثانيا

ولست أعجب لشيء عجبي لمن يدعي اتباع أولئك السالفين رضي الله عنهم ويزعم تقليدهم وسلوك مذاهبهم واتباع نهجهم — وهو لم يعرف عنهم الا ما يتلقفه من أفواه العامة وأشباه العامة ، حتى أصبحوا وكأن لا صلة تصلهم باولئك السابقين ، ومن أين تكون هذه الصلة ؟ وهي انما تحاك من خيوط معرفة أحوالهم والوقوف على سيرهم ، وتنسج على نير التشبع من آثارهم والتضلع من صحيح نظرياتهم ، والحرص على ما خلفوا من ثروة علمية معدومة النظير ، وكل ذلك يكاد يكون معدوما ، بل قل انه معدوم إذ لا عبرة بالنفر القليل الذين يعنون بهذا على أنه شيء غريب ، وأمر نادر ، ومن الى جانبهم من سلفيي العصر القليلين

انه لمن أشد الامور ايلاما للنفس الاسلامية أن ترى معاهد العلم مجمعة على هجر كتب السلف وآثارهم ، وان ترى — فوق هذا — المعهد الاسلامي الوحيد (الازهر) أخذ ينحو منحاها ويسلك طريقها في الانصراف عن تآليف السالفين والاهتداء في طريق العلم بآثار الماضين . والازهر انما يختص — دون المعاهد العلمية كلها في العالم — بشهرة علمية تملأ الاسماع : أنه الحريص على آثار السلف وعلومهم ، فماذا يبقى بعده إذا هو انضم الى غيره في هذا المجال ؟

وليس معنى هذا: الدعوة الى الجمود على السالف بحذافيره بحيث تكون الامة اليوم صورة طبق الماضي . كلا، فان هذا هو الركود المزري والارتكاس في حماة التقليد المخزي ، بل هو الموت المحقق الذي نخشاه. ولكن أقصد أن ندرس آثارهم دراسة الفاحص المدقق ، وأن نشرف عليها بعقل طليق من قيود التقليد الاعمى نزيه عن اتباع الهوى والانغماس في شهوة المخالفة. لا نريد تقليداً لكل ما قالوا وأتوا ، ولا نريد اهمالا ونفوراً عما خلفوا وأنتجوا ، ولكن نريد أمراً وسطا ،هو هذه الدراسة البعيدة عن الهوى والعصبية ، ونحن بلاشك ـ بعد هذا ـ واجدون مجموعة ثمينة من الافكار العلمية القيمة في آثار السالفين

ولست أقصد ـ مع هذا ـ بالسالفين كل من مات، ولو كان في القرن الماضي ، كلا ، انما أقصد بالسالفين من كان في الاعصر الغنية بالعلم الاسلامي الصحيح ، تلك الاعصر التي كانت الافكار فيها سائمة في رياض القرآن، بعيدة عن التأثر برأي فلان أو التحيز لقول فلان ، سليمة من مرض القيل والقال ، والشغف بالمماحكة اللفظية وكثرة الجدال ، لا تنقاد الا بزمام الدليل الناصع من قول الله أو قول الرسول ، ولا تخضع إلا لسلطان الحق الابلج في منقول ومعقول ، أولئك هم الذين يجدر بطلبة العلم التنقيب عن آثارهم ، والحرص على ثمرات عقولهم ، فانها الخير كل الخير ،والبركة كل البركة .

واننا لنعلم يقينا أن سلسلة العلم الصحيح والنظريات الصافية الخالصة قد قطعها مئات من أصحاب التواليف في الاعصر الماضية قريبا، الذين لم يكن لهم هم الا تنميق الجمل وتزويق الالفاظ، وتوشية الكتاب بأقصى ما يمكن من التعمية والابهام والاختصار المخل والالغاز . فليس في شيء من هذه المؤلفات إلا ما يقطع الصلة بعلوم السالفين الصالحين ، ويقضي على آثار العلماء المخلصين

اننا كلما أوغلنا في الزمن قدما كلما أوغلنا في البعد والانقطاع عن هذه الآثار وازداد ـ بذلك ـ الفرق بيننا وبينهم اتساعا. إن هذا وربك لأكبر دليل على التدهور

العلمي في الامة والتدلي الادبي الذي يأباه كل حريص على كرامة الامة الاسلامية

فخليق بكل مخلص لأمتنا الاسلامية أن يسعى جهده في نشر آثار السلف الصالح واخراجها من كائمها، ليعلم الناس أن هناك علما قيما كان مدفونا في ثنايا الخزائن، مخبوءا بين جدران دور الكتب القديمة، كان الناس عنها غافلون، ولينتفع الناس من هذا التراث النفيس وهذه الثمرات الطيبة . واني بذلك معني وعليه حريص .

فأتقدم بهذه المجموعة العلمية من آثار أبي عبد الله بن بطة، وابن قدامة، والفريابي، وابن الجوزي، وابن رجب، رحمهم الله ورضي عنهم، ونفعنا بعلومهم، وسلك بنا طريقهم .

وسأقدم كل واحد منهم للقاريء بترجمة لطيفة يعرف بها قدره ويقف بها على منزلته العلمية وعصره الذي نشأ فيه . والله المستعان وعليه التكلان وبه الثقة

أبو عبد الله ابن بطة

عبد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن عمر بن عيسى بن ابراهيم بن سعد بن عتبة بن فرقد، صاحب رسول الله ﷺ . أبو عبد الله العكبري المعروف (بابن بطة) مولده يوم الاثنين لأربع خلون من شهر شوال سنة أربع وثلاثمائة

سمع عبدالله بن محمد البغوي وأبا محمد بن صاعد، واسماعيل بن العباس الوراق، وأبا طالب أحمد بن نصر الحافظ، وأباذر بن الباغندي، ومحمد بن محمود السراج، وأبا القاسم الخرقي، وغيرهم من الغرباء، فانه سافر الكثير إلى مكة والثغور والبصرة وغير ذلك من البلاد

صحبه جماعة من شيوخ المذهب: أبو حفص العكبري، وأبو حفص البرمكي، أبو عبد الله ابن حامد، وأبو علي ابن شهاب، وأبو اسحاق البرمكي

قال ابن ثابت: حدثني عبد الواحد بن علي العكبري قال: لم أر في شيوخ أصحاب الحديث ولا في غيرهم أحسن هيئة من ابن بطة . قال وحدثني القاضي ابو حامد قال : لما رجع ابو عبد الله من الرحلة لزم بيته أربعين سنة فلم يُر يوما في سوق ، ولم ير مفطراً إلا في يوم الفطر والاضحى. وكان أماراً بالمعروف ولم يبلغه خبر منكر إلا غيره — أو كما قال . وكان شيخا صالحا مستجاب الدعوة . قال القاضي أبو الحسين : وأنبأنا أبو محمد الجوهري قال سمعت أخي أبا عبد الله يقول : رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت له : يارسول الله ، أي المذاهب خير ؟ ـ اوقال ـ قلت على أي المذاهب أكون ؟ فقال « ابن بطة ابن بطة ابن بطة » فخرجت من بغداد الى عكبرى . فصادف دخولي يوم الجمعة ، فقصدت الشيخ أبا عبد الله الى الجامع ، فلما رآني قال ـ ابتداء ـ صدق رسول الله ﷺ صدق رسول الله ﷺ ـ او كما قال

قال أبو علي ابن شهاب: سمعت أبا عبد الله ابن بطة يقول : أستعمل عند منامي أربعين حديثاً عن رسول الله ﷺ . وقال ابو علي ايضا : حضرت أبا عبد الله ابن بطة وقد حضره ابو اسحاق الضرير ، فقال له: لو اشتغلت بشيء من العربية أو كلاما هـذا معناه — فقال : هـذا مسند احمد بن حنبل ، يأخذ أحدكم أي جزء شاء ، ويقرأ علي الاسناد ، لأذكر المتن ، أو المتن لأذكر الاسناد. فاحتشمته ان يفعل ذلك ـ أو كما قال

قال ابو القاسم ابن القاضي أبي يعلى رحمه الله ، وذكر ان ابا عبد الله بن بطة كان يسرد الصوم ، وكان بعينيه ناصور ، وقد وصف له ترك العشاء ، فكان يجعل عشاءه قبل الفجر بيسير ، ولا ينام حتى يصبح . وكان عالما بمنازل الفجر والقمر

وحكى أبو الفتح العكبري قال: وجدت بخط أبي قال: اجتاز الشيخ أبو عبد الله ابن بطة بالاحنف العكبري ، فقام له فشق ذلك عليه ، فأنشأ يقول:

لا تلمني على القيـام فحـقي ... حين تبدو أن لا أمل القياما
أنت من أكرم البرية عندي ... ومن الحق أن أجل الـكراما

فقال ابن بطة ، لابن شهاب : تكلف له جواب هذا ، فقال :

أنت إن كنت ـ لاعدمتك ـ ترعى	لي حقـا وتظهر الاعظـاما
فلك الفضـل في التقدم والعلـ	ـم ولسنا نحب منك احتشاما
فاعفني الآن من قيامك أو لا	فسأجزيك بالقيـام القيـاما
وأنا كاره لذلك جـداً	إن فيـه تملقـا وأثاما
لا تكلف اخاك ان يتلقا	ك بما يستحل فيه الحراما
وإذا صحت الضمائر منـا	اكتفينا ان نتعب الاجسـاما
كلنـا واثق بود اخيـه	ففيم انزعاجنـا وعـلام ؟

له مصنفات كثيرة غاية في الجودة ، منها الابانة الكبرى ، الابانة الصغرى ، السنن ، المناسك ، الامام ضامن . الانكار على من قضى بكتب الصحف الاولى . الانكار على من اخذ القرآن من المصحف ، النهي عن صلاة النافلة بعد العصر وبعد الفجر . تحريم النميمة ، صلاة الجماعة . منع الخروج بين الاذان والاقامة لغير حاجة . ايجاب الصداق بالخلوة . فضل المؤمن . الرد على من قال الطلاق الثلاث لايقع ، صلاة النافلة في شهر رمضان بعد المكتوبة ، ذم البخل . تحريم الخمر . ذم الغناء والاستماع اليه . التفرد والعزلة . وغير ذلك وقيل انها تزيد على مائة مصنف

توفى في يوم عاشوراء سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ، ودفن بعكبرا ،

(ملخصة من المنهج الاحمد للعليمي رحمه الله)

وان من يطالع آثار الشيخ ابن بطة يعرف أنه كان من خير من يمثل سيرة الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه في حربه للبدع وصبره على السنة ويعرف مع هذا أنه كان مبتلى في زمنه بمن يكيد للسنة ويوجه اليها من سهام البدع الشيطانية وحيل الاهواء مايحاول به اطفاء نورها . ومن فضل الله أن يهيء مثل ابن بطة في عصره ردءاً للحق وعضدا للكتاب والسنة

ولقد اطلع أخونا الشيخ محمد ملوخية المدني في أسفاره العديدة مما اطلع عليه

من الكتب الكثيرة على كتاب الابانة في المكتبة الظاهرية بدمشق فرأى بها العلم الغزير والاخلاص متجسما والعقيدة السلفية الصحيحة فحرص على ان ينقل منها فصلا آثرت نقله هنا ليزداد القاريء علما بقدر أولئك المصلحين رضي الله عنهم وأسأل الله أن يوفق لطبع كتاب الابانة وغيره من آثار هؤلاء الاعلام. وهاك الفصل

قال في باب اعلام النبي ﷺ لامته ركوب طريق الامم قبلهم وتحذيره إياهم ذلك — بعد سياق الاحاديث الدالة على ذلك.

فلو أن رجلا عاقلا أنعم النظر اليوم في الاسلام وأهله لعلم أن أمور الناس تمضي كلها على سنن أهل الكتابين وطريقهم، وعلى سنة كسرى وقيصر، وعلى ما كانت عليه الجاهلية. فما طبقة من الناس وما صنف منهم، إلا وهم في سائر أمورهم مخالفون لشرائع الاسلام وسنة الرسول ﷺ، مضاهئون لما يفعل أهل الكتابين والجاهلية قبلهم. فان صرف بصره إلى السلطنة وأهلها وحاشيتها، ومن لاذ بها من حكامهم وعمالهم وجد الامر كله فيهم بالضد مما أمروا به ونصبوا له، في أفعالهم وأحكامهم وزيهم ولباسهم، وكذلك هو في سائر الناس بعدهم من التجار والسوقة وأبناء الدنيا وطالبيها من الزراع والصناع والاجراء والفقراء والقراء والعلماء إلا من عصمه الله

ومتى فكرت في ذلك وجدت الامر كما أخبرتك في المصائب والافراح، وفي الزي واللباس، والآنية والابنية والمساكن والخدام والمراكب والولائم والاعراس والمجالس والفرش، والمآكل والمشارب، وكل ذلك فيجري بخلاف الكتاب والسنة، وبالضد مما أمر به المسلمون، وندب اليه المؤمنون. وكذلك من باع واشترى وملك واقتنى، واستأجر وزرع وزارع

فمن طلب السلامة لدينه في وقتنا هذا مع الناس عدمها، ومن أحب أن يلتمس معيشة على حكم الكتاب والسنة - فقدها، وكثر خصماؤه وأعداؤه، ومخالفوه ومبغضوه فيها. الله المستعان

فما أشد تعذر السلامة في الدين في هذا الزمان ، فطرقات الحق خالية مقفرة موحشة ، قد عدم سالكوها ، واندفنت محاجها ، وتهدمت صواياها وأعلامها ، وفقد أدلاؤها وهداتها ، قد وقفت شياطين الانس والجن على فجاجها وسبلها تتخطف الناس عنها. الله المستعان . فليس يعرف هذا الامر ويفهمه إلا رجل عاقل مميز قد أدبه العلم ، وشرح الله صدره بالايمان

ثم ساق بسنده الى يزيد بن خمير الدجبى قال : سألت عبد الله بن بسر صاحب النبي ﷺ : كيف حالنا من حال من كان قبلنا ؟ قال : سبحان الله ! لو نشروا من القبور ما عرفوكم إلا أن يجدوكم قياما تصلون

وبسنده إلى ثابت عن أنس رضي الله عنه قال « ما من شيء كنت أعرفه على عهد رسول الله ﷺ إلا قد أصبحت له منكراً ، إلا اني أرى شهادتكم هذه ثابتة » قال : فقيل : يا أبا حمزة فالصلاة ؟ قال « قد فعل فيها ما قد رأيتم »

وبسنده إلى الزهري قال : دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي قلت ما يبكيك ؟ قال « ما أعرف شيئاً مما كنا عليه الا هذه الصلاة وقد ضيعت »

وبسنده الى أم الدرداء قالت : دخل علي ابو الدرداء وهو غضبان قلت له ما أغضبك ؟ قال « والله ما أعرف فيهم من أمر محمد ﷺ الا انهم يصلون جميعا »

وبسنده الى ابن عباس رضي الله عنه انه كان يتمثل بهذا البيت :

فما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعرف

ثم قال ابن بطة : هذا يا اخواني — رحمنا الله وإياكم — قول أصحاب رسول الله ﷺ : عبدالله بن بسر وأنس بن مالك وأبي الدرداء وابن عباس ، ومن قد تركت أكثر ممن ذكرت ، فياليت شعري ؟ كيف حال المؤمن في هذا الزمان وأي عيش له مع أهله ؟ وهو لو عاد عليلا لعاين عنده وفي منزله وما أعده هو وأهله للعلة والمرض من صنوف البدع ، ومخالفة السنن والمضاهات للفرس والروم وأهل الجاهلية مالا يجوز له معه عيادة المرضى ، وكذلك ان شهد جنازة ، وكذلك

ان شهد إملاك رجل مسلم ، وكذلك ان شهد له وليمة ، وكذلك ان خرج يريد الحج عاين في هذه المواطن مايكربه ويكرسه ويسوءه في نفسه وفي المسلمين ويغمه ، فاذا كانت مطالب الحق قد صارت بواطل ، ومحاسن المسلمين قد صارت مقابح فماذا عسى أن تكون أفعالهم في الامور التي نطوى عن ذكرها ؟ إنا لله وإنا اليه راجعون . مأعظم مصائب المسلمين في الدين ، وأقل في ذلك المفكرين

أنشدني شيخ من أهل العلم في البصرة في جامعها :

الطرق شتى وطرق الحق مفردة　　والسالكون طريق الحق آحاد
لايطلبون ولا تبغى مآثرهم　　فهم على مهل يمشون قصاد
والناس في غفلة عما يراد بهم　　فكلهم عن طريق الحق حُوَّاد

عم الناس – يا اخواني – البلاء ، وانغلقت طرق السلامة والنجاء ، ومات العلماء والنصحاء ، وفقد الامناء ، وصار الناس داء ليس يبرئه الدواء ، نسأل الله التوفيق للرشاد ، والعصمة والسداد

ثم ساق بسنده الى عبد الله بن مسعود « يأتي على الناس زمان يمتلىء فيه جوف كل امرىء شراً حتى يجري الشر فلا يجد فضلا ولا يجد جوفا يلج فيه »

لا جعلنا الله وإياكم من أهل الشر ، ولا جعل لاهل الشر علينا سبيلا

وبسنده الى ابي الدرداء « لو أن رجلا كان يعلم الاسلام وأهله ثم تفقده اليوم ما عرف منه شيئاً » انتهى

(أقول) فاذا كان هذا حال اهل زمان ابن بطة ، فكيف به إذا رأى ما عليه الناس اليوم من شرك عظيم وضلال كبير واعراض عن العلم والدين ، وانغماس في الشهوات ، وانهماك في اللذات ؟ ؟ الله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله

الشيخ موفق الدين ابن قدامة

هو عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي الفقيه الصالح الزاهد ولد في شعبان سنة ٥٤١ بجماعيل ، وقدم دمشق مع أهله وله عشر سنين فقرأ القرآن وحفظ مختصر الخرقي ، ورحل الى بغداد سنة ٥٦١ وسمع الكثير

من هبة الله الدقاق وابن البطي والشيخ عبد القادر الجيلاني وغيرهم خلق كثير . وسمع على علي ابن الطباخ وغيره ، وقرأ على ابي الفتح ابن المني المذهب والخلاف والاصول حتى برع ، واقام ببغداد نحواً من أربع سنين ، ثم رجع الى دمشق ثم عاد الى بغداد سنة ٥٦٧

وقال سبط ابن الجوزي : كان اماما في فنون . ولم يكن في زمانه ـ بعد أخيه عمر والعماد ـ أزهد ولا اورع منه ، وكان كثير الحياء عزوفا عن الدنيا وأهلها ، هينا لينا متواضعاً ، محبا للمساكين ، حسن الاخلاق ، جواداً سخيا ، من رآه كأنما رأى بعض الصحابة

وقال ابو شامة : كان شيخ الحنابلة موفق الدين اماما من أئمة المسلمين ، وعلما من اعلام الدين في العلم والعمل ، صنف كتبا حسانا في الفقه وغيره ، عارفا بمعاني الاخبار والآثار

وقال الحافظ بن رجب : له التصانيف الكثيرة الحسنة في المذهب فروعا وأصولا ، وفي الحديث واللغة والزهد والرقائق .

انتفع بتصانيفه المسلمون عموما ، وأهل المذاهب خصوصا ، وانتشرت واشتهرت بحسن قصده واخلاصه ، وكانت وفاته يوم السبت عيد الفطر سنة ٦٢٠ بمنزله بدمشق ، وصلي عليه من الغد وحمل الى سفح قاسيون فدفن به

(ملخصة من الترجمة التي وضعها له أستاذنا العلامة السيد رشيد رضا في أول كتاب المغني)

الامام الفريابي

هو الحافظ شيخ الوقت أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض التركي قاضي الدينور ، وصاحب التصانيف . رحل من الترك إلى مصر وحدث عن علي بن

المديني وأبي جعفر النفيلي وقتيبة وإسحاق وهدبة بن خالد وهشام بن عمار وسليمان ابن بنت شرحبيل وابن ابي شيبة وعبد الاعلى بن حماد وشيبان بن فروخ ومحمد بن أبي بكر المقدمي وخلائق . وروى عنه النجاد وأبو علي الصواف وأبو بكر الشافعي والقطيعي وابن عدي والاسماعيلي وأبو الطاهر الذهبي قاضي مصر وأبو الفضل الزهري وخلق كثير . وكان ثقة مأموناً.

قال ابن الصواف سمعت الفريابي يقول : كل من لقيته لم أسمع منه إلا من لفظه ، الا اثنين : أبي مصعب فانه ثقل لسانه ، ومعلى بن مهدي الموصلي أول ما كتبت سنة ٢٢٤

وعن ابي حفص الزيات قال : لما ورد الفريابي إلى بغداد استقبل بالطيارات والدبادب[1] ثم أوعد له الناس إلى شارع المنار ليسمعوا منه ، فحزر من حضر مجلسه لسماع الحديث ، فقيل كانوا نحو ثلاثين ألفا ، وكان المستمعون ثلاثمائة وستة عشر

قال ابو الفضل الزهري : لما سمعت من الفريابي كان في مجلسه من اصحاب المحابر من يكتب نحو عشرة آلاف انسان - مابقي منهم غيري ، هذا سوى من لم يكتب وكان سماع ابي الفضل منه في سنة ٢٩٨

قال ابن عدي : كنا نشهد مجلس الفريابي وفيه عشرة آلاف او اكثر . قال الخطيب : كان من اوعية العلم ، من أهل المعرفة والفهم ، طوف شرقا وغربا ، ولقي الاعلام ، وكان ثقة حجة

وقال الدارقطني : قطع الفريابي الحديث في شوال سنة ٣٠٠ ، وقال ابو علي النيسابوري الحافظ : قدمت بغداد والفريابي حي ويكتب بين يديه وكنا نراه حر ولد سنة ٢٠٧ ومات في المحرم سنة ٣٠١ وكان رحمه الله قد حفر لنفسه قبراً

(ملخصة من تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي)

١» الدبداب : الطبل وأصل الدبدبة كل صوت كوقع الحافر على الارض الصلبة

الواعظ الكبير ابن الجوزي

الامام العلامة الحافظ ، عالم العراق ، وواعظ الآفاق ، عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبدالله - يتصل نسبه بأبي بكر الصديق رضي الله عنه - البغدادي الحنبلي الواعظ المفسر ، صاحب التصانيف السائرة في فنون العلم . وعرف جدهم بالجوزي - بجوزة كانت في داره بواسط ، لم يكن بواسط جوزة سواها

ولد تقريباً سنة ٥١٠ وأول سماعه في سنة ٥١٦ سمع ابا القاسم بن الحصين وعلي بن عبدالواحد الدينوري وأباعبدالله الحسين بن محمد البارع ، وأبا السعادات أحمد بن احمد المتوكل واسماعيل بن ابي صالح المؤذن ، والفقيه ابا الحسين بن الزعفراني ، وخلائق جملتهم سبعة وثمانون نفساً . وكتب بخطه مالا يوصف كثرة .

وعظ في حدود سنة ٥٢٠ الى ان مات . حدث عنه اين الصاحب يحيى ، وسبطه الواعظ شمس الدين يوسف ، والحافظ عبد الغنى وابن الزينبي وابن النجار وغيرهم كثير

وله تصانيف كثيرة مفيدة جداً ، انتفع بها المسلمون عامة وخاصة في مختلف العصور ، ولا تزال مورداً عذبا في كثير من الفنون والمعارف ، ونبراسا وضاءاً في سبيل السالكين الى الله .

كان رحمه الله تعالى عارفا بالسنة والكتاب بارعا في علومهما كل البراعة ، ذا فضل في الذب عنهما ، والقضاء على شبه الملحدين والمخرفين من المتصوفة وغيرهم ، وله في حرب مدعي التصوف والتشهير بهم والتشنيع على بدعهم وزيغهم عن سبيل الحق وطريق الاستقامة الحظ الوافر والسهم النافذ ، ومن قرأ كتاب (تلبيس ابليس) وجد فيه روح المقت الشديد والحنق البالغ مما كان يفعله المتصوفة في زمنه من منكرات ، وما يأتون من بدع يشوهون بها وجه الاسلام - متجلية واضحة ، ولا يحسّ هذا الاحساس إلا أمثال ابن الجوزي ممن تضلع من علم السنة وغذي بروح الدين النقي الصافي عن الخرافات والاوهام

ولعمر الله ، هذا حنق ابن الجوزي ومقته لمتصوفة زمانه لما ألصقوا بالاسلام من بدع ، وما أضافوا اليه من زيغ والحاد ، فكيف به لو رأى اليوم ما عليه رقعاء متصوفة الزمان؟ من إلحاد وزيغ وضلال وفساد وافساد ، مما جعل الامة غير الامة والدين غير الدين ، وأغرى الفسقة والقاسية قلوبهم بالاسلام ، تنوشه ألسنتهم وأقلامهم وأيديهم من كل صوب وناحية ، حتى أصبحت لا ترى إلا جهلا شائعاً وضلالا ذائعاً ، وجموداً على الباطل ، وبغضاً للحق ، وكراهية للهدى ، وصبراً على ما أوهمهم الشيطان وحزبه انه دين وشريعة ، وما هو إلا عادات الآباء وعقائد الجاهلية ، وسنن اليهود الجافين عن الدين والنصارى الغالين فيه الملصقين به ما ليس منه ، وأعمال الوثنية . والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله . صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول « بدأ الاسلام غريباً وسيعود كما بدا » وحيث يقول « لتركبن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه »

يسمون الفسق والفجور — من الرقص وهز الاعطاف على نغمات الطبول وتوقيعات المزمار — ذكراً لله وعملا صالحا ، ويسمون قول شيوخهم في أحزابهم وأورادهم التي ما أملاها الا الجهل والعمى عن الحق — بسمة الكتاب المنزل والقرآن المحفوظ ، كلا بل هي والله عندهم أعز من الكتاب وأولى بالحفظ والتلاوة من القرآن الكريم (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا)

لم يبق وربك صالحا في ردع هؤلاء عن هذا الزور ، وقطع ايديهم وألسنتهم عن هذا الفساد والافساد إلا سيف عمر ، فانه هو الذي يخرج شياطين رءوسهم التي اوحت اليهم بما يصنعون . ولقد صدق الله اذ قال (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً)

وعلى غرار الامام ابن الجوزي في مقته لبدع الصوفية وضلالاتهم الامام المحقق الشيخ موفق الدين ابن قدامة الذي ألف رسالته المنشورة في هذه المجموعة في بيان ان ما فتن به أهل الطرق الصوفية من الرقص والغناء والشبابة من المنكر الذي يأباه الاسلام وينكره أشد الانكار . وكذلك كان السلف أجمعون حربا على أهل البدع

هذه نفثة مصدور جر اليها القول في الامام ابن الجوزي رحمه الله ورضي عنه وغفر له وتذكر ما كان عليه من جهاد لهذه المنكرات وحرب لهذه الاضاليل

غير ان حبنا لهذا الامام وغيره لا يميل بنا عن قولة - نقولها خالصة للحق - والحق أعلى وأعظم من الاشخاص — قد كان في الامام ابن الجوزي - غفر الله له - شيء من الميل إلى التأويل في بعض الصفات، والقول فيها خلاف ماذهب اليه امام المذهب الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه، وخلاف ما ذهب اليه بقية الائمة والسلف الصالح رضي الله عنهم مما دل عليه صريح الكتاب والسنة وصحيح العقل من الايمان بها على حقائقها من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل، يقولون في الاثبات (الرحمن على العرش استوى) وفي التنزيه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

ولله در شيخ الاسلام ابن تيمية، فلقد كان — رضي الله عنه — جامعاً لأطراف العلم الصحيح والاعتقاد الرجيح، قائماً في ذلك كله مقام الانبياء والمرسلين جهاداً باللسان والسنان والقلم حتى أقام الله به أود الحق، واستقام من الدين ما كان قد اعوج. وقد قال ابن تيمية رحمه الله: من أئمة المذهب اثنان كانا يميلان إلى التأويل لكثرة تضلعهما من المعقول: هما ابن الجوزي وابن عقيل صاحب الفنون اهـ

ولذا ألف ابن الجوزي رحمه الله (كتاب دفع شبه التشبيه) ولقد كان خيراً كثيراً ان لا يكون ابن الجوزي ألف هذا الكتاب، ولكنه نقطة مغمورة في بحر علمه وسحابة لطيفة تجلوها شمس فضله (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً) والله يغفر له ويجزيه عن الاسلام أحسن الجزاء

وقد طبع السيد أمين الخانجي — وفقنا الله وإيانا للخير — ترجمة قيمة جامعة لهذا الامام الجليل لمناسبة شروعه في طبع كتابه التحقيق في مسائل الخلاف الذي وقف على طبعه والتعليق عليه أخونا المحقق النابه، المعني بعلم السنة وآثار السلف الفاضل الشيخ احمد محمد شاكر. أعانهما الله على اتمام طبعه لتعميم نفعه

***

مجموع تصانيف ابن الجوزي مائتان ونيف وخمسون . كانت جنازته مشهودة شيعه الخلائق في يوم الجمعة ثالث عشر رمضان الى مقبرة باب حرب سنة ٥٩٧ هـ والله أعلم

العلامة الحافظ ابن رجب

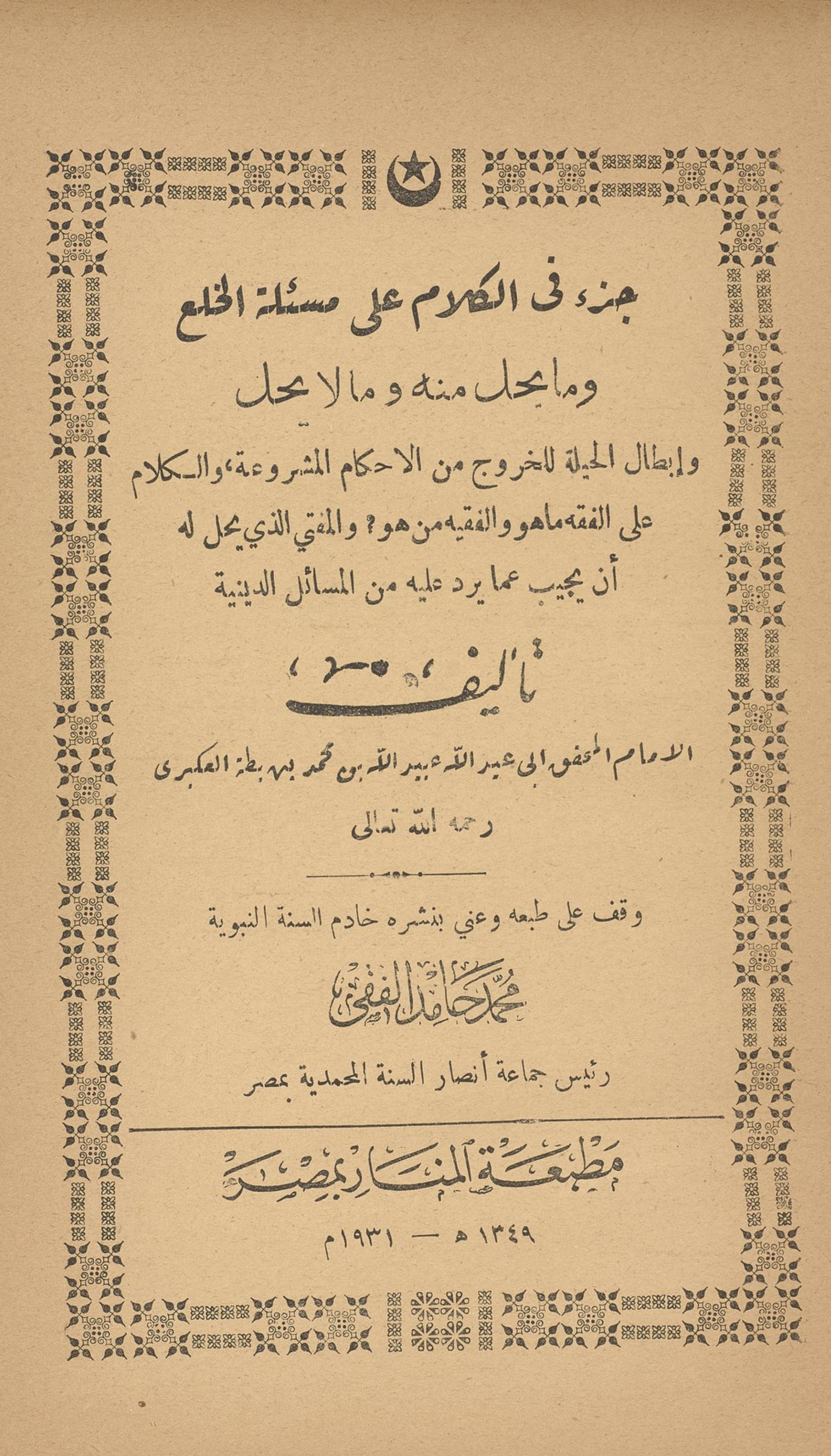
عبد الرحمن بن احمد بن رجب بن عبد الرحمن البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي الامام الحافظ الحجة ، الفقيه العمدة أحد العلماء الزهاد والأئمة العباد مفيد المحدثين واعظ المسلمين . ولد ببغداد سنة ٧٣٦ . له المؤلفات السديدة والمصنفات المفيدة

كان رحمه الله إماما ورعا زاهداً مالت القلوب بالمحبة اليه وأجمعت الفرق عليه كانت مجالس تذكيره الناس عامة نافعة وللقلوب صادعة. قدم من بغداد مع والده إلى دمشق وهو صغير سنة ٧٤٤ أتقن فن الحديث وصار أعرف أهل عصره بالعلل وتتبع الطرق تخرج به غالب حنابلة عصره. وكان رحمه الله من خيرة العلماء الحريصين على نشر مذهب السلف والذب عنه ورزقه الله الاخلاص في مؤلفاته فوضع لها من القبول عند اهل العلم ما عم النفع بها وصرف وجوه الناس اليها ، وكان من المعجبين بشيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ووافقهما في اكثر ما قالوه من المسائل العلمية في العقائد وغيرها التي نقمها عليهما جهلة المقلدين أو غلاة المتعصبين الذين كان يحملهم حسد ابن تيمية وتلميذه على ما وهبهما الله من العلم الغزير والتوفيق والصدق في الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الحق — على النيل من الامام ابن تيمية وتلميذه بشقاشق القول او السمايات عند جهلة الامراء والملوك والاستعانة بظلمهم على إيذائهما. فكان لهما في الدنيا احسن الاحدوثة ويكون لهما عند الله تعالى إن شاء الله ثواب المجاهدين الصابرين

مات الامام ابن رجب في رجب أو رمضان سنة ٧٩٥ بدمشق رحمه الله رحمة واسعة وغفر له ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وطهر قلوبنا من الغل لهم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفقير العاجز
محمد حامد الفقي

القاهرة في ١٦ شوال سنة ١٣٤٩ هـ



جزء فى الكلام على مسئلة الخلع

وما يحل منه وما لا يحل

وإبطال الحيلة للخروج من الاحكام المشروعة، والكلام على الفقه ما هو والفقيه من هو؟ والمفتي الذي يحل له أن يجيب عما يرد عليه من المسائل الدينية

تأليف

الامام المحقق ابى عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبرى

رحمه الله تعالى

وقف على طبعه وعني بنشره خادم السنة النبوية

محمد حامد الفقي

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر

مطبعة المنار بمصر

١٣٤٩ هـ — ١٩٣١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

حدث الشريف الامام ابوالقاسم علي بن محمد بن علي العلوي الحراني قال:
اخبرنا الامام ابوعبدالله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطة العكبري رحمه الله قال:

بتوفيق الله نستعين، ولعظمته نستكين، وبما وصى به النبيين من شريعته ندين، ونستهديه الى السراط المستقيم، الذي أنعم الله به على النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وصلى الله على خاتم النبيين وسيد المرسلين، محمد النبي الامي وعلى آله وسلم أجمعين

أما بعد: يا أخي - ألهمنا الله واياك التقوى، وجنبنا واياك الردى، وعصمنا واياك من سوء المذاهب وقبيح الآراء، فقد فهمت ماسألت عنه: من حال «رجل ذكرت انه حلف بالطلاق ثلاثا انه لابد أن يقتل رجلا مسلما بغير حق لاجل خصومة جرت بينهما: انه استفتى بعض الفقهاء، فأمره أن يطالب زوجته بأن تختلع منه على عوض تعطيه من مالها، فاذا قبل الفدية خلعها بتطليقة لتسقط اليمين، ثم يعود في الوقت فيخطبها من وليها، ويتزوجها تزويجا جديداً، ويسقط عنه الوفاء بما حلف عليه»

وسألت عن صحة الفتوى، وهل لها مخرج من الكتاب والسنة؟ وأصل ثابت عند العلماء الربانيين من هذه الامة؟

ولقد بلغني ان بعض من قد نصب نفسه للفتوى في النوازل يُعلّم من حلف بطلاق زوجته ثلاثا ليفعلن شيئا لايحل له فعله، او لايفعل شيئا لابد له من فعله، وكل واحد من الزوجين يؤدي الى صاحبه ماأوجب الله عليه من حسن صحبته واجمال عشرته فيدله على نحو الحيلة التي ذكرتها في السؤال

هذا ، واني راجع اليك بجواب ماسألت عنه مشروحا مفهوما ، ليكون عملك بحسبه ، وحذوك على قدوه .

غير اني أقدم امام القول ، وأبدأ قبل الجواب عن مسئلتك ، بذكر صفة الفقيه الذى يجوز تقليده والفزع اليه عند المشكلات ، والانقياد إلى طاعته عند نزول المعضلات وحلول الشبهات ، ثم أتبع ذلك بالجواب عما سألت عنه ، فاني أرى هذا الاسم قد كثر المتسمون به من عامة الناس وكافتهم ، وما ذاك الا لان البصائر قد عشيت ، والافهام قد صدئت ، وابهمت عن معنى الفقه ماهو ، والفقيه من هو ؟ فهم يعولون على الاسم دون المعنى ، وعلى المنظر دون الجوهر

ولذلك قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ، حين وصف المتجاسر على الفتوى بغير علم ، سماه أشباه الناس عالما ولم يغن في العلم يوما سالما .

وقال رضي الله عنه « يوشك أن لايبقى من الاسلام إلا اسمه ، ومن القرآن إلا رسمه ، مساجدهم يومئذ عامرة وهي خراب من الهدى ، علماؤهم شر من تحت أديم السماء ، من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود » حدثنيه ابو محمد عبدالله ابن سليمان الفاسي حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي حدثنا يزيد بن هارون قال أنبأنا عبد الله بن مكين حدثنا جعفر بن محمد عن جده عن علي رضي الله عنه انه قال ذلك

وسأنعت لك معنى الفقه والفقيه من العربية والشريعة الاسلامية نعتاً جامعا من الشهادة المقنعة ، والدلالة الشافية ، مختصراً ذلك ومقتصراً على بعض الرواية دون النهاية ، وملخصه من الرواية بما فيه الكفاية ، تلخيصا يأتي على ماوراءه [ويغني] عما سواه

فأما الفقيه في اللسان الفصيح ، فمعناه الفهم ، تقول : فلان لا يفقه قولي ، أي لايفهم ، قال الله عز وجل (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون

تسبيحهم) اي لاتفهمون . وقوله عز وجل (ليتفقهوا في الدين) أي ليتفهموه فيكونوا علماء به ، ومن ذلك قولهم : فلان لايفقه ولا ينقه ، معناه لايفهم ولا يعلم

ونجد الله عز وجل ندبنا إلى توحيده ، والمعرفة بعظيم قدرته ، بما دلنا عليه من بديع صنعته ، وعجيب حكمته ، وما أسبغ علينا من نعمته ، ثم أخبرنا انه انما أظهر هذه المعجزات ، وفصل هذه الآيات للفقهاء العلماء ، لانهم هم الذين فهموا عنه ، وفقهوا معنى مراده ، فجاز أن يدلوا عليه بما دلهم به على نفسه ، وجاز أن يكونوا هم النصحاء لعباده بما نصحوا به أنفسهم . فان الله عز وجل وصف نفسه لعباده ، وعرفهم ربوبيته ، ودعاهم الى توحيده وعبادته بما أظهر لهم من قدرته فقال عز وجل (إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت) إلى آخر الآية ، ثم قال عز وجل (فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم) ثم قال عز وجل (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) ثم قال عز وجل (وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون)

فلما فقهوا عن الله عز وجل ماعظم به نفسه ، وأخبر به من جلاله وهيبته ، ونفاذ قدرته ، وعظيم سلطانه وسطوته ، وماوعد به من ثوابه ، وتوعد به من عقابه ، وملكه للاشياء في الضر والنفع والاعطاء والمنع ، والدوام والبقاء ، هابوا الله عز وجل وأجلوه ، واستحيوا الله وعبدوه ، وخافوا الله وراقبوه ، وذلك لما فقهوا عنه من عظمته وجلاله ، وعظيم ربوبيته ، ولصق مافقهوا عن الله عز وجل بقلوبهم فأزعجها ، وعن جميع مكاره الله باعدها ، وعلى مايرضيه حركها وأذابها ، ومن مخالفته أوجلها وأرهبها ، فعند ذلك أضافهم الله عز وجل إلى نفسه فيما شهد لها بالالهية ، فقال (شهد الله أن لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط) ثم رفعهم على جميع خلقه فقال (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم

درجات) وقال (نرفع درجات من نشاء) قيل بالعلم . فهم صفوة الله من عباده، وأهل نوره في بلاده . اصطفاهم الله لعلمه، واختارهم لنفسه ، وعرفهم حقه ، ودلهم على نفسه ، فأقام بهم حجته ، وجعلهم قوامين بالقسط ، ذُبّاباً عن حُرَمه ، نصحاء له في خلقه ، فارين اليه بطاعته . فلذلك أمر الله عز وجل بمسئلتهم ، والنزول عند طاعتهم ، فقال عز وجل (فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ثم ألصق طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله ، فقال (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) قال الفقهاء : كذا قال المفسرون

حدثنا ابن مخلد حدثنا الحساني حدثنا ابو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية بذلك

فطاعتهم على جميع الخلق واجبة ، ومعصيتهم محرمة ، من أطاعهم رشد ونجا ، ومن خالفهم هلك وغوى ، هم سرج العباد ومنار البلاد ، وقوام الامم ، وينابيع الحكم في كل وقت وزمن ، وصفهم الله عز وجل بالخشية والاعتبار ، والزهد في كل مارغب فيه الجهلة الاغمار . فقال عز من قائل (انما يخشى الله من عباده العلماء) وقال (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون)

ووصف قارون وخروجه في زينته ، ومباهاته لاهل عصره بما أوتيه من حطام الدنيا وزينتها ، وغبطة الجاهلين له ، المريدين منها مثل ارادته ، وتاسفهم على مثل حاله ، ثم دل على فضل العلماء واصابتهم الصواب ، بعزوف أنفسهم عن ملكه وزينته ، ورضاهم بما فهموا عن الله ، وتصديقهم له فيما وعد من جزيل ثوابه ، وحسن مآبه لمن آمن بذلك ورضي به ، فقال عز وجل (إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة) ثم قال (فخرج على قومه في زينته ، قال الذين يريدون الحياة الدنيا : ياليت لنا مثل

أوتي قارون ، انه لذو حظ عظيم * وقال الذين أوتوا العلم ويلكم، ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا)

وقال عز وجل تخصيصاً للعلماء وتفضيلا للفقهاء (ولا يلقاها إلا الصابرون) يعني الصابرين على الدنيا وزينتها ، رضاء بالله وبثوابه، وبما أعاضهم من العلم به والفهم عنه . وبما فقهوا عنه ماوعد به من صبر عنها - ولذلك يروى والله أعلم - في معنى هذا قول النبي ﷺ « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين »

حدثنا ابو الفضل جعفر بن محمد القافلاني حدثنا الحسين بن محمد بن ابي معشر حدثنا وكيع حدثنا أسامة بن زيد عن محمد بن كعب القرظي قال حدثنا معاوية ابن ابي سفيان على المنبر « اللهم لامانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت ؛ من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » سمعت هؤلاء الكلمات من نبيكم ﷺ

وحدثني ابو علي محمد بن احمد البزار وابو بكر محمد بن الحسين، قالا : حدثنا أبو مسلم ابراهيم بن عبد الله الكشي حدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الواحد ابن زياد حدثنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين »

حدثنا ابن صاعد حدثنا ابن زنبور حدثنا اسماعيل بن جعفر حدثنا عبدالله ابن سعيد بن ابي هند عن أبيه عن ابي هريرة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين »

قال عبيدالله بن محمد شيخنا رضي الله عنه : ولهذا الفقيه الذي أراد الله به خيراً صفات وعلامات وصفها العلماء ، وأبانت عن حقائقها العقلاء

فمن صفاته وعلاماته ما حدثنا ابو الفضل شعيب بن محمد بن الداجيان الكفي حدثنا علي بن حرب حدثنا الحسين بن علي الجعفي حدثنا ليث عن مجاهد قال « انما الفقيه من يخاف الله عز وجل »

وحدثنا ابو الحسين اسحاق بن احمد الـكاذي حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل قال : حدثني أبي حدثنا حسين بن علي عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال « الفقيه من يخاف الله عز وجل »

حدثنا أبو الحسين محمد بن احمد بن أبي سهل الحربي حدثنا ابو العباس احمد بن مسروق الطوسي حدثنا موسى بن خاقان النحوي (ح) وحدثنا ابو الحسين احمد بن عثمان الازدي حدثنا الحارث بن أبي اسامة حدثنا ابو النصر هاشم بن القاسم حدثنا بكر بن خنيس عن ليث بن أبي سليم عن أبي هبيرة الانصارى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال « ألا أخبركم بالفقيه كل الفقيه ؟ من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يؤمنهم من مكر الله ، ولم يرخص لهم في معاصي الله ، ولم يدع القرآن رغبة عنه الى غيره »

حدثنا ابو شيبة عبد العزيز بن جعفر الخوارزمي حدثنا محمد بن اسماعيل ابو عبد الله الضرير حدثنا يزيد بن هارون قال انبانا المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن قال : قال عبد الله بن مسعود « كفى بخشية الله علما ، وكفى بالاغترار بالله جهلا »

حدثنا ابو الحسين الحربي حدثنا احمد بن مسروق حدثنا الحسين بن حفص حدثنا وكيع عن محمد بن عمر عن أبي علقمة الليثي قال : كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الاشعري رحمه الله « ان الفقه ليس بكثرة السرد ، وسعة الهدر ، وكثرة الرواية . وانما الفقه خشية الله عز وجل »

حدثنا ابو بكر احمد بن محمد بن السري الـكوفي بالـكوفة حدثنا اسحاق ابن يحيى الدهقان حدثنا ابو كريب حدثنا ابن مسعود عن أبيه قال قلت لسعد ابن ابراهيم : من أفقه أهل المدينة ؟ قال : أتقاهم

حدثني ابو صالح محمد بن احمد بن ثابت حدثنا ابو الحسين محمد بن احمد الحربي حدثنا احمد بن مسروق حدثنا محمد بن الحسن حدثنا ابو بشير حدثني

مروان بن محمد قال: سمعت بعض القرشيين قال « ان كمال علم العالم ثلاثة : ترك طلب الدنيا بعلمه ، ومحبته الانتفاع لمن يجلس اليه ، ورافته بالناس »

حدثنا ابو القاسم عبد الله بن محمد البغوي حدثنا يحيي بن أيوب العابد حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر العمراني قال : قال ابو حازم « لا يكون العالم عالما حتى تكون فيه ثلاث خصال ، لا يحقر من دونه في العلم ، ولا يحسد من فوقه ، ولا يأخذ على علمه دنيا »

حدثنا ابو صاعد حدثنا علي بن مسلم حدثنا يسار بن جعفر بن سليمان حدثنا مطر الوراق قال : سألت الحسن عن مسئلة فقال فيها ، فقلت يا أبا سعيد ، يأبى عليك الفقهاء. فقال الحسن : ثكلتك أمك يامطر ، وهل رأيت بعينك فقيها قط؟ وقال « تدري ما الفقيه ؟ الفقيه الورع الزاهد المقيم على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا يسخر بمن أسفل منه ، ولا يهزأ بمن فوقه ، ولا يأخذ على علم علمه الله اياه حطاما »

حدثنا ابو الحسن اسحاق بن احمد الكاذي حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل حدثني ابي حدثنا عمر بن الهيثم حدثنا ابو حمزة عن الحسن قال « الفقيه المجتهد في العبادة الزاهد في الدنيا ، المقيم على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم »

حدثنا اسحاق بن احمد حدثنا عبد الله حدثني ابي حدثنا موسى بن هلال حدثنا هشام صاحب الدستوائي عن رجل عن الحسن وقد أتاه رجل فسأله عن مسئلة فأفتاه ، قال فقال له الرجل : يا أبا سعيد قال فيها الفقهاء غير ما قلت ، قال : فغضب الحسن وقال « ثكلتك أمك ، وهل رأيت فقيها قط ؟ » قال : فسكت الرجل ، قال فسأله رجل فقال: يا أبا سعيد من الفقيه ؟ قال « الزاهد في الدنيا ، الراغب في الآخرة ، البصير في دينه ، المجتهد في العبادة . هذا الفقيه »

حدثنا ابو عمارة حمزة بن القاسم خطيب جامع المنصور حدثنا حنبل بن اسحاق حدثنا ابو عبد الله حدثنا سفيان بن عيينة قال: سمعت أيوب يقول: سمعت الحسن

يقول «مارأيت فقيها قط يداري ولايماري، انما يفشي حكمته ، فان قبلت حمد الله ، وإن ردت حمد الله» قال وسمعت الحسن يقول «مارأيت فقيها قط . وانما الفقيه الزاهد في الدنيا . الراغب في الآخرة ، الدائب على العبادة ، المتمسك بالسنة »

حدثنا ابو عبدالله احمد بن علي بن العلاء حدثنا عبدالوهاب بن الحكم الوراق حدثنا محمد بن بكر حدثنا جعفر بن سليمان عن عبد الصمد بن معقل عن وهب بن منبه قال «الفقيه العفيف المتمسك بالسنة، أولئك أتباع الانبياء في كل زمان»

حدثنا ابو محمد عبدالله بن محمد بن الراجيان حدثنا ابو نصر فتح بن شخرف حدثني عبدالله بن حبيق عن يوسف بن اسباط قال: قال سفيان الثوري «الفقيه الذي يعد البلاء نعمة، والرخاء مصيبة ، وأفقه منه من لم يجتريء على الله عزوجل في شيء لعلة به »

حدثنا ابو بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري حدثنا يونس بن عبدالاعلى حدثنا عبدالله بن وهب حدثنا سليمان بن القاسم عن الحارث بن يعقوب قال يقال « إن الفقيه كل الفقيه من فقه في القرآن وعرف مكيدة الشيطان»

حدثنا ابو جعفر محمد بن سليمان النعماني الباهلي حدثنا عبدالله بن عبدالصمد حدثنا مخلد بن أيوب عن ابي قلابة عن ابي الدرداء قال « لايفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مقتا»

حدثنا ابو بكر محمد بن محمود السراج حدثنا ابو الاشعث احمد بن المقدام العجلي حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوي حدثنا أيوب عن ابي قلابة عن ابي الدرداء قال « إن من فقه المرء ممشاه ومدخله ومجلسه »

حدثنا اسحاق الكاذي حدثنا عبد الله بن احمد حدثني ابي حدثنا اسماعيل ابن اسحاق حدثنا أيوب عن ابي قلابة قال : قال ابو الدرداء «انك لاتفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها ، وانك لاتفقه كل الفقه حتى تمقت الناس في جنب

« عز وجل ثم ترجع إلى نفسك فتكون لها أشد مقتا منك للناس »

حدثنا ابو صالح محمد بن احمد حدثنا محمد بن يونس الديلمي حدثنا ابراهيم ابن نصر الصائغ قال سمعت الفضيل بن عياض يقول « انما الفقيه الذي أنطقته الخشية ، وأسكتته الخشية . إن قال قال بالكتاب والسنة ، وإن سكت سكت بالكتاب والسنة ، وإن اشتبه عليه شيء وقف عنده ورده إلى عالمه »

قال الشيخ ابو عبد الله : أنا أقول — والله المحمود — هذه صفة احمد بن حنبل رحمه الله . فياويح من يدعي مذهبه ويتحلى بالفتوى عنه . وهو سلم لمن حاربه ، عون لمن خالفه ، الله المستعان على وحشة هذا الزمان

حدثنا ابو شيبة عبد العزيز بن جعفر بن بكر الخوارزمي حدثنا ابو عبد الله اسماعيل حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن يونس عن الحسن قال « انا لنجالس الرجل فنرى أن به عيا وما به عي وانه لفقيه مسلم » قال وكيع « أسكتته الخشية »

حدثني أبو علي محمد بن الحسن البزار حدثنا ابو جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا يوسف بن موسى حدثنا حكام حدثنا عيسى بن معاذ عن ليث قال « كنت أسأل الشعبي فيعرض عني ويجبهني بالمسئلة ، قال فقلت ، يا معشر العلماء ؟ تزوون عنا أحاديثكم وتجبهوننا بالمسئلة ؟ » فقال الشعبي « يامعشر العلماء ، يامعشر الفقها . ؟! لسنا بعلماء ولا فقهاء . ولكننا قوم قد سمعنا حديثا فنحن نحدثكم بما سمعنا . انما الفقيه من ورع عن محارم الله ، والعالم من خاف الله عز وجل »

حدثنا ابو شيبة حدثنا الحساني محمد بن اسماعيل حدثنا ابن نمير عن مالك بن مغول قال « استفتى رجل الشعبي فقال : أيها العالم أفتني ، فقال انما العالم من يخاف الله »

حدثنا أبو طلحة احمد بن محمد بن عبد الكريم الفزاري حدثنا محمد بن يحي الازدي حدثنا داود بن المحبر حدثنا عباد بن كثير عن ابن جريج عن عطاء وأبي الزناد عن جابر أنه تلا (وما يعقلها إلا العالمون) فقال « العالم الذي عقل عن

الله أمره فعمل بطاعة الله واجتنب سخطه »

حدثني أبو صالح محمد بن احمد حدثنا أبو الحسن بن ابي العلاء الكوفي حدثنا العباس بن يزيد البحراني حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثني قرة بن خالد عن عون بن عبد الله بن عيينة قال قال عبد الله بن مسعود « ليس العلم للمرء بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية »

حدثنا أبو بكر محمد بن دارم الكوفي حدثنا أبو عبد الله محمد بن اسماعيل ابن يزيد الرازي حدثنا محمد بن مسلم الرازي حدثني مقاتل بن محمد قال « خرجنا مع سفيان بن عيينة إلى منى في جماعة فيهم ابو مسلم المستملي فقال سفيان في بعض ما يتكلم به « العالم بالله الخائف لله ، وإن لم يحسن - فلان عن فلان - ومن لم يحسن العلم والخوف من الله فهو جاهل وإن كان يحسن (فلان عن فلان) المسلمون شهود أنفسهم . عرضوا أعمالهم على القرآن، فما وافق القرآن تمسكوا به وإلا استعتبوا من قريب » قال أبو مسلم ما أحسن هذا الكلام يا أبا محمد ، قال « انه والله أحسن من الدر، وهل الدر إلا صدفة ؟ »

حدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد حدثنا أبو بكر المروذي حدثنا حبان بن موسى قال : سئل عبد الله بن المبارك « هل للعلماء علامة يعرفون بها ؟ » قال « علامة العالم من عمل بعلمه ، واستقل كثير العلم والعمل من نفسه، ورغب في علم غيره ، وقبل الحق من كل من أتاه به . وأخذ العلم حيث وجده، فهذه علامة العالم وصفته » قال المروذي : فذكرت ذلك لابي عبد الله. فقال « هكذا هو »

حدثنا ابن مخلد حدثنا المروذي قال: قلت لابي عبد الله: قيل لابن المبارك: كيف يعرف العالم الصادق ؟ فقال « الذي يزهد في الدنيا ويعقل أمر آخرته » فقال « نعم كذا يريد أن يكون »

حدثنا أبو بكر محمد بن محمود السراج حدثنا أبو بكر بن زنجويه حدثنا

عبد الرزاق حدثنا معمر قال سمعت الزهري يقول « لاتثق للناس بعمل عامل لايعلم، ولاترضي لهم بعلم عالم لايعمل »

حدثنا أبو الحسين محمد بن احمد بن ابي سهل الحربي حدثنا احمد بن مسروق الطوسي قال سمعت ابراهيم بن الجنيد يقول «عوتب بعض العقلاء على تركه المجالس وقيل له: مابالك لاتكتب الحديث ؟ فقال قد سمعت حديثين فأنا محاسب نفسي بهما، فاذا أنا علمت انى قد عملت بهما كتبت غيرهما . قيل وما الحديثان؟ قال «من حسن اسلام المرء تركه ما لايعنيه » و«حب الدنيا رأس كل خطيئة » وأنا أستغفر الله من اعتذاري اليه ، وأشكره على ما قد عرفني من زللي . فانصرفوا وهم يحلفون بالله مارأينا أفقه منه ولا أشد محاسبة منه لنفسه ، قال فرجع اليه رجل منهم فقال أوصني ، قال « عليك بتقوى الله وصدق الحديث ، وترك مالا يعنيك ثم قام فدخل إلى منزله »

حدثنا أبو عبد الله احمد بن علي بن العلاء حدثنا أبو عبيدة بن أبي السفر حدثنا ابو أسامة عن زائدة (ح) وحدثنا ابن مخلد قال حدثنا ابن اسحاق حدثنا نعيم بن حماد حدثنا ابن المبارك عن زائدة عن هشام عن الحسن قال « كان الرجل اذا طلب بابا من العلم لم يلبث أن يرى ذلك في تخشعه وبصره ولسانه ويده وزهده وصلاته وبدنه، وإن كان الرجل ليطلب الباب من العلم فلهو خير له من الدنيا وما فيها »

حدثنا ابو الحسين اسحاق بن احمد الكاذي حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل حدثني أبي ثنا عفان حدثنا حماد بن زيد عن أيوب قال « ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعا لله عز وجل »

حدثنا ابو بكر محمد بن القاسم النحوي حدثنا الحسن بن الحباب حدثنا معمر القطيعي قال سمعت سفيان بن عيينة يقول « العلم اذا لم ينفع ضر »

حدثنا ابو جعفر عمر بن محمد بن رجاء حدثنا ابو نصر عصمة بن أبي عصمة حدثنا العباس بن الحسين القنطري حدثنا محمد بن الحجاج قال كتب احمد بن حنبل رضي الله عنه عنى كلاما – قال العباس : وأملاه علينا . قال «لا ينبغي للرجل أن ينصب نفسه «يعني للفتوى» حتى يكون فيه خمس خصال : أما أولاها فأن يكون له نية، فانه ان لم تكن له فيه نية لم يكن عليه نور ولا على كلامه نور . وأما الثانية فيكون له خلق ووقار وسكينة. وأما الثالثة فيكون قويا على ماهو فيه وعلى معرفته . وأما الرابعة فالكفاية ، والا مضغه الناس . وأما الخامسة فمعرفة الناس »

قال ابو عبد الله رحمه الله : فاقول ، والله العالم – «لو أن رجلا أنعم نظره ، وميز فكره ، وسما بطرفه واستقصى بجهده طالبا خصلة واحدة في أحد من فقهاء المدينة والمتصدرين للفتوى فيها لما وجدها . بل لو أراد اضدادها والمكروه والمرذول من سجايا دناءة الناس وأفعالهم فيهم لوجد ذلك متكاثفا متضاعفا ، والله نسأل صفحا جميلا وعفواً كثيراً »

حدثنا ابو صالح محمد بن احمد قال: حدثنا ابو الاحوص قال حدثنا ابن أبي أوس عن أخيه عن أبيه قال : أدركت الفقهاء بالمدينة يقولون «لا يجوز أن ينصب نفسه للفتوى ، ولا يجوز أن تستفتي الا الموثوق في عفافه وعقله وصلاحه ودينه وورعه وفقهه وحلمه ورفقه ، وعلمه باحكام القرآن والمحكم والمتشابه ، والناسخ والمنسوخ ، عالما بالسنة والآثار ، وبمن نقلها، والمعمول به منها والمتروك ، عالما بوجوه الفقه التي فيها الاحكام ، عالما باختلاف الصحابة والتابعين، فانه لا يستقيم أن يكون صاحب رأي له علم بالكتاب والسنة والاحاديث والاختلاف . ولا صاحب حديث ليس له علم بالفقه والاختلاف ووجوه الكلام فيه. وليس يستقيم واحد منهما الا بصاحبه. قالوا : ومن كان من أهل العلم والفقه والصلاح بهذه المنزلة الا أن طعمته من الناس وحاجاته منزلة بهم وهو محمول عليهم. فليس بموضع الفتوى،

ولا موثوق به في فتواه، ولا مأمون على الناس فيما اشتبه عليهم»

قال الشيخ ابو عبد الله بن بطة — رضي الله عنه: قد اقتصرت يا أخي — صانك الله — من صفة الفقيه على ما أوردت، وكففت عن أضعاف ما أردت، فاني رأيت الاطالة بالرواية في هذا الباب متجاوزة ما قصدنا من جواب المسئلة. نعم — أيضا — وتهجين لنا وسبة علينا، وغضاضة على الموسومين بالعلم، والمتصدرين للفتوى من أهل عصرنا، مع عدم العالمين لذلك والعاملين به. فأسأل الله أن لا يمقتنا فانا نعد أنفسنا من العلماء الربانيين، والفقهاء الفهماء العارفين، ونحسب انا أئمة متصدرون علما وفتيا، وقادة أهل زماننا، ولعلنا عند الله من الفاجرين، ومن شرار الفاسقين. فقد روى عن الفضيل بن عياض رحمه الله انه قال «انا لنتكلم بكلام أحسب ان الملائكة تستحسنه ولعلها تلعن عليه»

وروي ان قائلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: يارسول الله من شر الناس؟ فقال «اللهم غفراً، شر الناس العلماء إذا فسدوا» وروي عن علي رضي الله عنه انه قال: «يوشك أن لا يبقى من الاسلام الا اسمه، ومن القرآن إلا رسمه، مساجدهم يومئذ عامرة وهي خربة من الهدى، علماؤهم شر من تحت أديم السماء، من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود»

وقال عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم «يامعشر الحواريين، الحق أقول لكم: ان الدنيا لا تصلح إلا بالملح، والطعام لا يطيب إلا به، فاذا فسد الملح فسد الطعام وذهبت المنفعة به. وكذلك العلماء ملح الارض لا تستقيم الارض إلا بهم، وإذا فسدت العلماء فسدت الارض»

وقال سفيان بن عيينة «قدم عبيد الله بن عمر الكوفة فلما رأى اجتماعهم عليه قال: نسيتم العلم وأذهبتم نوره، لو أدركني وإياكم عمر لأوجعنا ضربا»

هذا — رحمكم الله — قول عبيد الله بن عمر رحمه الله لمن اجتمع عليه من طلبة العلم

وهم سفيان الثوري وابن عيينة وأبو ادريس الخولاني وحفص بن غياث ونظراؤهم ، فما ظنك بقوله لو رأى أهل عصرنا ؟ فنسأل الله صفحاً جميلا ، وعفواً كبيراً ، فياطوبى لنا إن كانت موجبات أفعالنا أن توجع ضربا ، فاني أحسب كثيراً ممن يتصدر لهذا الشأن يرى نفسه فوق الذين قد مضى وصفهم ، ويرى انهم لو أدركوه لاحتاجوا اليه وأموه . ويرى أن هذه الافعال منهم والاقوال المأثورة عنهم كانت عن عجزهم ، وقلة علمهم ، وضعف نحائزهم . الله المستعان ، فلقد عشنا لشر زمان . فقد حدثنا أبو محمد السكري حدثنا أبو يعلى الساجي حدثنا الاصمعي قال سمعت سفيان بن عيينة قال « إذا كنت في زمان يرضى فيه بالقول دون الفعل والعلم دون العمل ، فاعلم بأنك في شر زمان بين شر الناس »

ولقد روي عن حبر من احبار هذه الامة وسيد من سادات علمائها انه قال « ما أرى ان يعذب الله هذا الخلق إلا بذنوب العلماء »

قال أبو عبد الله عبيد الله بن محمد — ومعنى ذلك : والله اعلم — ان العالم إذا زل عن المحجة ، وعدل عن الواضحة ، وآثر مايهواه على مايعلمه ، وسامح نفسه فيما تدعوه اليه ، زل الناس بزلله ، وانهمكوا مسرعين في أثره ، يقفون مسلكه ، ويسلكون محجته . وكان مايأتونه ويرتكبونه من الذنوب وحوبات المآثم بحجة ، وعلى اتباع قدوة ، فلا تجري مجرى الذنوب التي تمحى بالاستغفار ، ومرتكبها بين الوجل والانكسار ، فالمقتدون به فيها كالسفينة إذا غرقت غرق بغرقها خلق كثير ، وجوهر خطير ، أضعاف ثمنها وقيمتها بأضعاف مضاعفة . والله أعلم

ونعود إلى جواب المسئلة ، ونستوفق الله لصواب القول وصالح الاعمال .

قال ابو عبد الله : وأما الحالف بالطلاق ثلاثا أنه لابد أن يقتل اخاه من غير أن يحد لذلك حداً ، أو يوقت له وقتا ، فهو غير حانث ما كان مجتهداً في إنفاذ ما حلف عليه مع مواظبة الاوقات لمواظبة عزمه ، وتصحيح نيته على ذلك . وفي إصراره على ذلك

وإقامته عليه مبارزة لله عز وجل في تعدي حدوده ، ومخالفة أمره واستجلاب غضبه ولعنته، والخلود في أليم عذابه، فان تلاومت نيته، او وقف عزمه، وحل عقد الاصرار من قلبه ، وعزم ان لايفعل ذلك أبداً ، فساعته بانت امرأته، وانقطعت العصمة بينهما ، وحرمت عليه، فلم تحل له حتى تنكح زوجا غيره . وفي تردده في يمينه، وضربه عرض البلاد ، وملاقاة الرجال، يلتمس المخرج من يمينه، والخلاص من حنثه من غير الوفاء بيمينه ، مادل على تلاوم نيته، ووقف عزمه وفتور قلبه، عما كان حلف عليه، فصار ذلك إلى صريح الحنث به والله أعلم

وأما الجواب عن قول المفتي: أن تسأل امرأتك ان تفتدي منك نفسها بشيء تعطيكه من مالها ،فاذا قبلت الفدية طلقها تطليقة بائنة ، فتخلعت منك وسقطت اليمين الاولى، ثم اخطبها من وليها وتزوجها تزويجا بائناً، وعادت كما كانت معك

قال ابو عبدالله : ان هذا الجواب لايجري مجرى الفتوى ، ولا يقال لقائله مفتي ولا فقيه ، لان الفتوى عند أهل العلم تعليم الحق والدلالة عليه. قال الله عز وجل (يستفتونك قل الله يفتيكم) يقول : يستعلمونك، قل الله يعلمكم الحق ، ويدلك عليه قول الله عز وجل (يوسف، أيها الصديق، أفتنا) فالفتوى هي تعليم الحق والدلالة عليه

وأما من علم الحيلة والماكرة في دين الله ، والخديعة لمن يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ،حتى يخرج الباطل في صورة الحق فلا يقال له مفتي،لان من كان على ملة ابراهيم وشريعة محمد ﷺ ومن شرح الله صدره للاسلام ، فقد تيقن علما ، وعلم يقينا أن هذه حيلة لاباحة ماحظره الله ، وتوسعة ماضيقه الله ، وتحليل ماحرمه ، ولفظ حق في ظاهره اريد به باطل في باطنه

وقد علم المؤمنون والعلماء الربانيون، والفقهاء الديانون ان الحيلة على الله وفي دين الله لاتجوز ، وان فاعلها مخادع لله ولرسوله، وما يخادع إلا نفسه لا من يعلم

السر وأخفى ، ويعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ، ويعلم مافي أنفسكم فاحذروه) ومن قال (إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله) ومن قال (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد[1]) ومن قال (وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه . وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين)

قد علم الله عز وجل أن الخلع الذي أفتى به هذا المفتي ، ليس هو الخلع الذي ذكره الله في كتابه ، ولا هو الذي علمه المؤمنون من عباده

وذلك انا نجد الله عز وجل قد جعل الرجال قوامين على النساء ، وجعل عقدة النكاح بايديهم ، وجعل النساء كالعواري عندهم ، ولما جاز أن يقع بينهما من القول والنفار ، والبغض والنشاز — مان تعاشرا معه خافا على أنفسهما الخروج عن أحكام الطاعة إلى شرور المعصية ، ولا سبيل للمرأة إلى حل عصمتها بنفسها ، وكان وجوب المهر على الزوج ، وما يخافه من المطالبة يمنعه من تخلية سبيلها — جعل لذلك حكما بائنا من الخلع باعطاء الفدية ، تملك المرأة به نفسها ، ويبرأ الزوج بذلك من صداقها — فأمر بالخلع وقبول الفدية ، وجعل ذلك لذلك نفسه ، وسماه حداً من حدوده التي من تعداها كان من الظالمين ، فقال عز وجل (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله . فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ، تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون) فجعل الاختلاع على المرأة أثاما ، وأخذ الرجل الفدية منها حراما ، إلا من بعد مخافتهما عصيان الله ، والاقامة بينهما على عشرة فيها تعدي حدوده .

---

(١) وهو عرق بين الحلقوم ، والعلباوين ، يتفرق في سائر الجسد ، والحبل هو الوريد

والمعني بالخلع في المسئلة المذكورة حالها في تبيان هذا الحالف قد وضع الخلع في غير ماصنعه الله له وقصد ، إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فيما اشترط لكل واحد منهما على صاحبه من العشرة والصحبة

وحدثنا عبدالوهاب حدثنا أبي حدثنا علي بن عبدالعزيز حدثنا ابو عبيد حدثنا ابو الاسود عن ابن لهيعة عن عبدالله بن عبدالله بن أبي فروة عن عطاء بن أبي رباح قال « لايحل الخلع الا أن تقول المرأة لزوجها : اني أكرهك وما أحبك ، وقد خشيت أن آثم في جنبك ولا أؤدي حقك ، وتطيب نفسا بالخلع »

حدثنا عبدالوهاب حدثنا أبي حدثنا علي بن عبدالعزيز حدثنا ابو عبيد حدثنا ابو اسماعيل عن ابن جريج عن هشام عن عروة أنه قال « لاتحل الفدية ولا يتم الخلع حتى يكون الفساد من قبلها ، وحتى تقول : لاأغتسل لك من جنابة ، ولا أبر لك قسما »

حدثني ابو صالح حدثنا الكديمي حدثنا عمرو بن عاصم الكلابي حدثنا معتمر ابن سليمان قال : سمعت أبي عن الحسن « اذا قالت لاأبر لك قسما ، ولا أغتسل لك من جنابة فحينئذ حل الخلع »

حدثنا ابو علي محمد بن يوسف حدثنا عبدالرحمن بن خلف العتبي حدثنا حجاج حدثنا حماد بن سلمة حدثنا هشام بن عروة عن أبيه قال « لايصلح الخلع إلا أن يكون الفساد من قبل المرأة »

أخبرني أبو حفص عمر بن محمد بن رجاء عن أبي عمر ان موسى بن حمدون حدثنا حنبل بن اسحاق حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة عن حماد [بن زيد] عن ابراهيم حدثنا هشام بن عروة عن أبيه قال « لايصلح الخلع إلا أن يكون الفساد من قبل المرأة » قال حدثنا حنبل قال ابو عبد الله « الخلع لايكون إلا من قبل المرأة لانها هي المطالبة »

حدثنا ابو حفص حدثنا ابو أيوب عبدالوهاب بن عمرو المزلي حدثنا ابو همام

الوليد بن شجاع حدثنا يحيى بن أبي زائدة عن صالح بن صالح قال قلت لعامر — يعني الشعبي — « متى يجوز الخلع بين الرجل والمرأة ، ومتى يطيب له أخذ الفدية منها ؟ » قال « اذا كرهته وعصيت الله فيه »

حدثني ابو صالح محمد بن احمد حدثني ابو الاحوص حدثنا حفص بن عامر النمري قال حدثنا شعبة عن الحكم عن عبدالرحمن بن ابي ليلى قال « ما أقام الزوجان على اقامة حدود الله بينهما فالخلع غير جائز و"فدية لا تحل »

حدثنا ابو عيسى يحيى بن محمد بن سهل الخصيب حدثنا أبو صالح عبدالوهاب ابن عصام بن الحكم حدثنا ابو مسعود احمد بن الفرات الاصبهاني حدثنا محمد ابن يوسف حدثنا الاوزاعي عن عطاء والزهري وعمرو بن شعيب قالوا « لا يجوز الخلع إلا من الناشز »

حدثنا ابو عيسى حدثنا ابو صالح حدثنا ابو مسعود حدثنا محمد بن عيسى حدثنا حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن أبيه قال « اذا كان من قبلها فلا بأس ، واذا كان من قبله فلا ، ولا نعمى عين »

حدثنا ابو عيسى حدثنا ابو صالح حدثنا عبد الوهاب حدثنا ابو مسعود حدثنا محمد بن عيسى حدثنا هشيم عن اسماعيل بن سالم عن الشعبي قال « اذا كان من قبلها فلا بأس واذا كان من قبله فلا »

حدثنا ابو عيسى حدثنا عبد الوهاب حدثنا ابو مسعود حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال « لا يجوز الخلع حتى يكون من قبل المرأة ، واذا كان من قبل الرجل لم يتم »

حدثني ابو صالح حدثنا الكديمي حدثنا بكار الليثي حدثنا يزيد بن ابراهيم عن الحسن في قوله عز وجل (فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به) قال « ذلك في الخلع ، اذا قالت والله لا أغتسل لك من جنابة »

قال أبو عبد الله : فهذه أقوال الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين ، موافقة كلها لما أنزل به القرآن ، مخالفة لما أفتى به المفتي ، منافية له . وأوضح ذلك وصححته السنة التي فسرت الكتاب ، والخلع الذي أجازه رسول الله ﷺ . من ذلك ما حدثني به أبو يوسف يعقوب بن يوسف الطباع حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثني عبد الأعلى بن سعيد عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس أن جميلة بنت سلول [1] أتت النبي ﷺ فقالت : والله ما اعتب على ثابت في دين ولا خلق ، ولكني اكره الكفر في الاسلام . لا اطيقه بغضا ، فقال لها نبي الله ﷺ « تردين اليه حديقته ؟ » قالت : نعم ، فأمره رسول الله ﷺ ان يأخذ ما ساق ولا يزداد .

قال ابو عبد الله : فهذا الخلع الذي نزل به القرآن وجاءت به السنة وذهب اليه فقهاء الامة ، لانعلم له وجها غير هذا ، ولا يجوز ان يصرف ولا يستعمل إلا عند الاسباب التي ذكرها الله عز وجل . وهي وقوع النفار والبغض والشقاق ومعصية الله تبارك وتعالى . لا للحيلة والمخالفة ، والخديعة والماكرة ، والعدول به إلى غير جهته ، ووضعه في غير موضعه الذي اراد الله له ، وفسح به عند الحاجة اليه .

---

(١) وقد وقع هنا (جميلة) بالجيم والميم . وفي تفسير ابن جرير وغيره (حبيبة) بالحاء المهملة والباء التحتانية الموحدة : بنت سهل . وقال الحافظ ابن حجر في الاصابة : في ترجمة حبيبة بنت سهل : التي اختلعت من ثابت بن قيس بن شماس ، فيما روي أهل المدينة ... وجائز أن تكون هي وجميلة بنت أبي بن سلول اختلعتا من ثابت جميعا . اه . قلت : لكن روي ابن جرير عن ابن عباس : أن اول خلع كان في الاسلام أخت عبدالله ابن ابي . ولم يسمها . وفي الاصابة ابي بن سلول وهو خطأ ، فان سلولا زوج أبي وأم عبد الله وجميلة هذه ، فتكون جميلة وبنت أبي بنت سلول . وعبدالله بن أبي يعرف نامه سلول أيضا . وقد تزوجت بعد ثابت أبي بن كعب

وماظنك به اذا كان بدء المسئلة من الرجل لزوجته، ان تتخلع منه وأن تفتدي منه نفسها على شريطة عقد النكاح بينهما بعقد ؟ فان هذا مالا خفاء على اهل العقل في قبحه وفساده، فانه وضع الخلع في غير موضعه، واستعماله في غير ما امر الله به. وشرط ايضا عقد النكاح بوقوعه، فصار ما فعله في القرب من مقصده، والظافر بمطلبه كالذي اراد مشرقا فذهب مغربا، فكلما ازداد في سعيه جهدا ازداد من ظنه بعداً. وهو في ذلك من المتلاعبين بحدود الله عز وجل والمستهينين بآياته

فقد حدثني ابو صالح محمد بن احمد حدثنا ابو الاحوص حدثنا ابو حذيفة حدثنا ابو الحسين عبد الباقي بن قانع حدثنا اسحاق بن حمدان البجلي حدثنا محمد بن الحسين بن طرحان حدثنا ابو حذيفة حدثنا سفيان الثوري عن ابي اسحاق عن أبي بردة عن أبيه أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ «ما بال أقوام يلعبون بحدود الله، ويستهزئون بآياته؟ خلعتك راجعتك، طلقتك»

حدثنا القاضي المحاملي حدثنا ابراهيم بن هانىء حدثنا ابو حذيفة قال حدثنا سفيان عن ابي اسحاق عن أبي بردة عن ابي موسى قال قال رسول الله ﷺ «مابال أقوام يلعبون بحدود الله طلقتك راجعتك، طلقتك راجعتك؟»

قال ابو عبد الله رحمه الله: وما الفرق بين هذا الخلع والنكاح الواقع بعقد شريطته، وبين من تزوج امرأة على شريطة ان يطلقها بعد الدخول بها، فتعود إلى زوج كان لها. وهذا المحلل والمحلل له اللذان لعنهما رسول الله ﷺ؟ وما الفرق بين هذا الخلع وبين من باع دراهمه المكسرة من صيرفي بدينار على أن يعطيه بذلك الدينار صحاحا على صرف مقطوع، وكل ذلك في عقد واحد؟

وما الفرق بين هذا الخلع وبين من استسلف من رجل في سلعة الى أجل على انه اذا جاء أجلها عاد البائع لها فاشتراها من المسلم فيها على سعر مقطوع؟

وما الفرق بين هذا الخلع وبين من اشترى من رجل سلعة نسيئة على أن

يشتريها منه بالنقد؟ مع نظائر كثيرة لهذا ، شاكل بعضها بعضا . وكلها عند من كان على شريعة الاسلام ، وشروط أحكامه فاسدة مردودة ، وربما وضعها أهلها موضع الحيلة على نحو من الحكم في ظاهره مع فساد باطنه ، وكل ذلك من الخديعة والمواربة والمماكرة لله تعالى ذكره في معاملته وعبادته

وأصل الحيلة في شريعة الاسلام خديعة ، والخديعة نفاق ، والنفاق عند الله عز وجل اعظم من صراح الكفر . قال الله عز وجل (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ، وماهم بمؤمنين * يخادعون الله والذين آمنوا ، وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون) وقال تبارك وتعالى (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى)

أفلا ترى ان المنافقين اظهروا قبول الاحكام الاسلامية ، وألزموا انفسهم التدين بها ، حيلة ، بذلك وخديعة لله عز وجل ولرسوله ﷺ ولعباده المؤمنين رحمة الله عليهم ؟ ليحقنوا بذلك دماءهم ، ويحفظوا اموالهم ، فأعطاهم ما أرادوا بما اظهروا وأكذبهم فيما ادعوا بما أسروا وأبطنوا ، ورد عليهم كيدهم وخديعتهم بسوء اعتقادهم وإرادتهم غير الذي أمر الله به ، من خالص التصديق وصافي التوحيد ، واستعمالهم آلات الايمان لغير ما أرادها الله عز وجل . وهذا باب من الحيلة وهو أفحشها وأقبحها . وكل ما كان من الحيلة فمشبه بها ومنسوب اليها ، ومتشعب عنها

ألا ترى أن الله عز وجل شرع براً بكافة خلقه وإرفاقا بهم رخصا وضعها عند الحاجة اليها وشدة الضرورة عند نزولها ، فقال الله عز وجل حين فرغ من فرض الصيام (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) وقال (وإذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) فأباح الفطر في السفر وقصر الصلاة . وفرض الحج بوجود الاستطاعة ، فلو أن رجلا سافر لا يريد بسفره إلا الاكل والجماع نهاراً في شهر رمضان ، حتى يقضي ذلك على مهل متقطعا في

قصير الايام على مر الاوقات . ولو أن رجلا سافر لا يريد من سفره الا أن يضع عن نفسه بعض صلاته ، وكذلك لو وجب عليه الحج بوجوب الاستطاعة فوهب ماله لبعض ولده عند أوقات الحج ، ثم استرجعه بعد ذلك ، وكذلك لو كان له من اصناف الماشية مال كثير تجب فيه الزكاة الكثيرة فباعها عند رأس الحول وجرى ثمنها مجرى المال المستفاد ، او مال صامت فعند رأس الحول ابتاع به عقاراً حتى اذا جاوز الحول باعه . لكان هذا كله في ظاهره جائزاً في شريعة الاسلام ماضيا على أحكامها ، ولو استفتى فاعله جميع فقهاء المسلمين في جميع الامصار فيما فعل غير مخبر لهم بنيته ، ولا ما قصد له من ذلك لما اختلف عليه اثنان في جوازه وصحته ، ولا رأوه حرجا في فعله ولا آثما في مرتكبه . وما ظنك الآن إذا كان المفتي هو الآمر بهذا والدال عليه والمفتي به ؟ ولا فرق بين الفتوى بالخلع على الحال المذكورة في هذه المسئلة وبين الفتوى في هذه الاسباب التي ذكرناها كلها ، فانها كلها ترجع الى الحيلة

وتجد الله عز وجل قد حرم الحيلة والخديعة وحرمها رسول الله ﷺ وأبطلها ، وان أعطاها صحة الحكم في ظاهرها

ألا ترى أن رسول الله ﷺ حكم بما ظهر ، وأبطل ذلك بما استتر ، وهو أعدل الخلق في حكومته ، وأعلمهم بقصته ، ولما علم أن في الناس من يكون ألطف حيلة في خصومته ، وألحن من خصمه بحجته ، وان الحكم بما ظهر لا بما استتر ، قال ﷺ « إنكم تختصمون إلي ، ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من صاحبه ، فمن قضيت له شيئاً من مال أخيه بغير حق فلا يأخذه ، فانما أقطع له قطعة من النار »

أفلا ترى أن ظاهر القضية حق بما ظهر من حيلة صاحبها ومكره ، ثم جعلها بغير حق ، وأوجب لصاحبها النار بما أبطن من سره وعزمه ؟ فلو كان ظاهر الحكم الاسلامي يدرأ عن صاحبه فساد ما روي عنه من حيلته ومخادعته لما أوجب له رسول الله ﷺ النار ، وهكذا صاحب هذا الخلع وضعه في غير الموضع الذي أراد الله عز وجل له ، فظاهره صحيح ومعناه مردود قبيح

ومن أوضح الادلة في بطلان الحيلة في الاحكام نهي رسول الله ﷺ عنها ولعنته فاعلها : من ذلك ماحدثنا به ابو الحسن احمد بن محمد بن سلم حدثنا الحسن ابن محمد بن الصباح الزعفراني حدثنا يزيد بن هارون حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «لاترتكبوا مارتكبت اليهود، فتستحلوا محارم الله بادنى الحيل»

حدثنا ابو بكر عبد الله بن محمد النيسابوري حدثنا عباس الدوري (ح) وحدثنا ابن مخلد حدثنا ابن زنجويه قال حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا شيبان بن عبد الرحمن عن الاعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «لعن الله اليهود، يحرمون شحم الغنم ويأكلون أثمانها»

قال ابو عبد الله : فرسول الله ﷺ انما لعن اليهود باستعمالهم الحيلة بأكلهم الشحوم، لان أكلها حلال والحيلة حرام، والمستعمل لها في دينه انما يخادع ربه.

حدثنا أبو علي محمد بن احمد البزار حدثنا بشر بن موسى حدثنا سعيد بن منصور حدثنا هشيم قال حدثنا الاعمش قال حدثنا عمران بن الحارث السلمي عن ابن عباس أنه أتاه رجل فقال: ان عمه طلق امرأته ثلاثا وندم، فقال « ان عمك عصى الله فأندمه، وأطاع الشيطان فلم يجعل الله له مخرجا» قال: فاني أتزوجها بغير أمره وترجع اليه ؟ فقال ابن عباس « من يخادع الله يخدعه »

قال ابو عبد الله رحمه الله : أولا يرى أن النبي ﷺ جعل الخيار للمتبايعين مالم يتفرقا، ثم نهاهما أن يفارق أحدهما صاحبه مخافة أن يستقيله إذا أراد أحدهما أن يفارق صاحبه، ليبطل عليه الخيار الذي جعله له رسول الله ﷺ، فان فاعل ذلك قد أدخل في البيع ضربا من الحيلة، وخديعة لصاحبه، استعمل فيها ظاهر العلم، فجعل السنة والعلم ذريعة لحيلته وأداة لخديعته، وركب مطية الحق في عراة[1]

(١) كذا في الاصل، ولعلها (عراء) أي صحراء

الباطل ، فهو بالنسبة لما ظهر من فعله يخصمه وبما أبطن من مراده مخصوم

حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد النيسابوري حدثنا ابو عبد الله احمد بن عبد الرحمن بن وهب حدثنا عمي حدثني مخرمة بن بكير عن أبيه قال سمعت عمرو ابن شعيب يقول: سمعت شعيبا يقول: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول « أيما رجل ابتاع من رجل بيعاً فان كل واحد منهما بالخيار حتى يتفرقا من مكانهما ، ولا يحل لاحدهما أن يفارق صاحبه مخافة أن يستقيله »

قال أبو عبد الله : فانظر يا أخي إلى حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتبايعين بتمام البيع اذا تفرقا على السلامة وجاري العادة ، وتحريمه التفريق على من أراد الحيلة والخديعة ، فصار يستعمل السنة في غير موضعها ، فصار المباح عليه محظوراً ، والحلال محرما

حدثني ابو حفص عمر بن عبد الله بن شهاب قال حدثنا أبي حدثنا أبو بكر الاثرم قال وقيل لابي عبد الله [احمد بن حنبل] في حديث عبد الله بن عمرو « ولا يحل لواحد منهما أن يفارق صاحبه خشية أن يستقيله » يرويه ابن عجلان.

قال أبو عبد الله : «وفي حديث عبد الله بن عمرو ابطال الحيل»

قال أبو عبد الله: ألا ترى ان الله عز وجل مسخ قوما قردة باستعمالهم الحيلة في دينهم ، والمواربة في دينهم ، ومخادعتهم لربهم ، مع انهم أظهروا التمسك وتحريم ما حرمه رب العالمين ، مع فساد باطنهم وقبيح مرادهم ، فقال عز وجل (واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت) ذكر لنا والله أعلم - أن الحيتان كانت تأتيهم يوم السبت كالمخاض [1] آمنة ، فلا يعرضون لها. ثم لا يرونها إلى يوم السبت الآخر ، فلما طال نظرهم اليها وتأسفهم عليها تشاوروا فيها ، فقال بعضهم لبعض: إن الله عز وجل انما حرمها يوم السبت ، فاصنعوا لها

(١) المخاض : الحوامل من النوق ، أو العشار التي أتى عليها من حملها عشرة أشهر

المصايد يوم الجمعة ، فاذا جاء يوم السبت فدخلت فيها ، فخذوها يوم الاحد ، ففعلوا ذلك . وكان ماقص الله عز وجل علينا من خبرهم

حدثنا أبو علي الصواف حدثنا بشر بن موسى حدثنا الوليد بن بشر بن الوليد الكندي حدثنا العوفي القاضي الحسين بن الحسن عن أبيه عن عطية العوفي - وهو جده - عن ابن عباس قال «كانت بنو اسرائيل تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شُرّعا ويوم لايسبتون لا تأتيهم ، فلما رأت ذلك بنو اسرائيل حظروا لذلك حظائراً وجعلوا لها أبوابا ، وكان يدخلها السمك يوم السبت ويخرج ، فلما رأوا ذلك كان الرجل يسبح يوم السبت فيدنو من تلك الابواب ثم يضرب بيده ورجله كأنه يسبح فيضرب الباب بيده أو برجله فيغلقه ، فلا يستطيع السمك أن يخرج ، فاذا كان يوم الاحد أخذوه ، فمكثوا كذلك زمانا فمسخوا - قال ابن عباس - مسخت بنو اسرائيل ، فمسخ الشيوخ خنازير ، والشباب قردة »

فالحيلة في الدين محرمة في الكتاب والسنة ، فكل حكم عمل بالحيلة في طلاق أو خلع أو بيع أو شراء ، فهو مردود مذموم عند العلماء الربانيين والفقهاء الديانين

حدثني أبو صالح محمد بن احمد حدثنا أبو جعفر محمد بن داود حدثنا ابو الحارث الصائغ قال سمعت أبا عبدالله قال «هذه الحيل التي وضعها هؤلاء : أبو حنيفة وأصحابه عمدوا إلى السنن فاحتالوا في بعضها ، أتوا إلى الذي قيل لهم انه حرام واحتالوا فيه حتى أحلوه »

وقال الميموني : قلت لأبي عبدالله : من حلف على يمين ثم احتال لابطالها ، هل تجوز تلك الحيلة ؟ قال « لا ، نحن لانرى الحيلة »

حدثني أبو بكر عبدالعزيز بن جعفر قال حدثنا احمد بن محمد بن هارون حدثني عبد الله بن محمد بن عبد الحميد حدثنا بكر بن محمد بن الحكم قال : قال أبو عبدالله «اذا حلف على شيء ثم احتال بحيلة فصار اليها فقد صار إلى ذلك الذي حلف عليه

بعينه » قال أبو عبد الله « من احتال بحيلة فهو حانث »

حدثني أبوعيسى يحيى بن محمد حدثنا علي بن الحسن الفامي قال حدثنا صالح ابن احمد قال قال أبي — وذكر أصحاب أبي حنيفة — « ونعجب مما يقولون في الحيل في الايمان يبطلون الايمان بالحيل قال الله عز وجل (ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها) قال قال صالح [1] قال أبي « والحيل لا نراها »

حدثنا ابراهيم بن حبيب العطار حدثنا ابو داود السجستاني قال سمعت أباعبد الله ـ وذكر الحيل عن أصحاب الرأي ـ فقال « يحتالون لنقض سنن رسول الله ﷺ » وحدث موسى بن سعيد الديداني ان أبا عبد الله قال « لا يجوز شيء من الحيل »

حدثنا ابو بكر محمد بن أيوب حدثنا بشر بن موسى قال سمعت ابراهيم بن شماس السمرقندي يقول : قال رجل للفضيل بن عياض رحمه الله : يا أبا علي ، اني استفتيت رجلا في يمين بليت بها ، فقال لي : إن فعلت ذلك حنثت ، وأنا أحتال لك ، فأفعل حتى لا أحنث ؟ فقال له الفضيل « تعرف الرجل ؟ » قال : نعم ، قال « ارجع واستفته فاني أحسبه شيطانا شبه لك في صورة انسان »

حدثنا أبو الحسن احمد بن عبد الله التميمي الآدمي البصري حدثني ابي قال اسمعت سهل بن عبد الله التستري يقول « من أفتى الناس بالحيلة فيما لا يجوز بتأول الرأي والهوى بلا كتاب ولا سنة فهذا من علماء السوء ، وبمثل هذا هلك الاولون والآخرون . ولهذا ثلاث عقوبات يعاقب بها في عاجل الدنيا : يبعد علم الورع من قلبه ويضيع منه ، وتزين له الدنيا ويرغب فيها ، ويفتن بها ويطلب الدنيا تضييعاً فلو أعطي جميع الدنيا في هلاك دينه لأخذه ولا يبالي »

قال أبو عبد الله : فهذه الحيلة المذكورة المخلوع عليها اسم الخلع لا يعرف لها مخرج ولا تأويل في كتاب ولا سنة ، ولا أفتى بها أحد من الصحابة والتابعين ،

(١) ابن الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه

لان الخلع أصل من أصول الشريعة قائم بذاته، غير محمول على تأويل ولا مستند لغير ما نزله الله في كتابه بلفظ مفهوم ومعنى معلوم، فقد قال تعالى في ذلك (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله) ثم عطف بالتأكيد فقال (فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به) فلم يجعل للمرأة سبيلا إلى اختلاعها ولا للزوج فسحة في أخذ الفدية منها إلا بالعلة التي وصفها . فان أفتى مفتي أو احتال ذو رأي بحيلة شبهها بهذا الخلع فقد جعل مع الخلع الذي وصفه الله عز وجل خلعا ثانيا ، وحكم حكما آخر ، وليس يخلو صاحب هذه المقالة أن يكون هـذا أراد ، فقد جعل لنفسه حكما وشرع شريعة أضافها إلى حكم الله عز وجل وشريعته ، وقد أحدث في دين الله مالم يأذن به . وقد قال النبي ﷺ « من أدخل في ديننا ما ليس منه فهو رد » ويزعم أن هذا هو الخلع الذي عنى الله عز وجل وأراد . ولمثل هذه البلوى أنزله الله على نبيه ، فقد ادعى على الله مالم يقله وبهت القرآن ، وخالف ماجاءت به السنة والجماعة وأجمع عليه المسلمون . فقد ذكرنا كيف خالع رسول الله ﷺ بين جميلة بنت سلول وثابت بن قيس بن شماس وماذكره الصحابة والتابعون من الخلع ومتى يجوز وقوعه، والعلة التي جاز المرأة الانخلاع لاجلها ، وحل للزوج أخذ الفدية منها . فمن زعم أن الخلع وأخذ الفدية نزل من السماء لغير ذلك، فقد رد على الله حكمه وعلى رسول الله ﷺ سنته ، وعلى الصحابة والسلف الصالح اجماعهم . والله حسيبه وحجيجه

ولقد روي عن النبي ﷺ من التهديد والوعيد الشديد لمن اختلعت من زوجها لغير السبب الذي وصف الله عز وجل ما يطول الكتاب بروايته ولكننا نختصر منه مافيه كفاية إن شاء الله

حدثنا ابو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي حدثنا احمد بن ابراهيم الموصلي حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء الرحبي عن

ثوبان قال قال رسول الله ﷺ « أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة »

حدثنا القاضي المحاملي ثنا محمد بن عبد الله المخرمي ثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا حماد بن زيد عن أيوب: فذكر مثله

قال ابو عبد الله : فرسول الله ﷺ قد تواعد المختلعة من زوجها من غير ما بأس بهذا الوعيد ، وجعل رائحة الجنة عليها حراما ، فكيف يتسع لمسلم أن يفتي أخاه المسلم بأن يأمر زوجته أن تختلع منه ويأخذ منها عوضا قد حرم الله عليه أخذه وعليها أن تختلع منه ، الا في الموضع الذي أباح الله ذلك لها فيه؟

وما ظنك الآن ان شرط لها على نفسه انها اذا اختلعت عاد فتزوجها فانعمت باختلاعها على شرط عقد نكاحها، فوقع الخلع بشرط النكاح ، والنكاح بشرط الخلع ،فبطلا جميعا. نعم ،وان حنث في يمين قد كان حلف عليها بعقب الخلع وهي في العدة صار الى عين الشبهة ، وجهور الريبة، وحصل في حبائل الاختلاف فان جماعة من الفقهاء من الصحابة والتابعين يقولون: المختلعة يقع عليها الطلاق في عدتها

ولقد روي نحو ذلك عن النبي ﷺ ، وان لم يكن الحديث متصلا، فسبيل الاحتياط أن يكون معمولا به خوف مخالفته

حدثنا ابو حفص عمر بن محمد بن رجاء حدثنا ابو نصر بن أبي عصمة حدثنا محمد بن اسحاق الصاغاني حدثنا ابو عبيد القاسم بن سلام حدثنا اسماعيل بن عياش عن العلاء بن عتبة عن علي بن أبي طلحة - رفعه الى النبي ﷺ - قال « المختلعة طلاق ما كانت في العدة » قال بذلك عبد الله بن مسعود ، وسعيد بن المسيب ، وشريح والشعبي ومغيرة الضبي، وابراهيم النخعي وحماد ومحمد بن شهاب الزهري وطاوس والحكم وداود . وهو مذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي من الكوفيين

وفيها قول ثاني، وهو ان المختلعة ان اتبع الخلع الطلاق في وقته طلقت ، وإن

تأخر ذلك لم يقع بها طلاق ، قال بذلك أبو سلمة ابن عبد الرحمن وغيره . وقال مالك بن أنس رحمه الله: الامر عندنا والمجمع عليه في بلدنا، في المفتدية —: انه إذا طلقها بعقب خلعها طلاقا نسقا متتابعا بانت منه وان كان بين ذلك صمات فليس بشيء

وفيها قول ثالث: قال ابن عباس، وابن الزبير وعكرمة والحسن وجابر بن زيد : لايقع بالمعتدة من الخلع طلاق ، وبهذا القول قال الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيد القاسم بن سلام واسحاق بن راهويه وأبو ثور وجماعة من فقهاء المسلمين قالوا : طلاقه لها بعد الخلع باطل . وهذا المعول عليه والمعمول به، وبه نقول

وفيها قول رابع، واليه يذهب جماعة من الفقهاء، وعليه أكثرهم: وهو ان الرجل اذا حلف بطلاق زوجته ثلاثا أن لا يفعل شيئا أو ليفعلن شيئا ، فاختلعت منه زوجته أو طلقها طلاقا بائنا قبل أن يحنث، ثم ارتجعها — ان اليمين راجعة عليه برجعتها، لان اليمين قائمة والزوجة هي بعينها، وبهذا نقول .

والعلم قد أحاط بأن صاحب المسئلة المذكورة في صدر هذا الكتاب انه إذا راجع زوجته بعد خلعها ولم يفعل ما كان حلف أن يفعله ان الزوجة هي تلك بعينها واليمين قائمة مبقاة

أخبرني أبو حفص محمد بن محمد بن رجاء عن ابن عمر أن موسى بن حمدون قال حدثنا حنبل بن اسحاق قال حدثني أبو عبدالله أحمد بن حنبل حدثنا عبد الصمد ابن هشام عن حماد — في الرجل يقول لامرأته: ان دخلت دار فلان فأنت طالق فطلقها قبل أن تدخل فبانت ثم خطبها وتزوجها، قال «ان دخلت وقع الطلاق الاول، بمنزلة رجل قال لغلامه: ان ضربتك فأنت حر، فباعه، ثم اشتراه بعد فضربه، فهو حر»

قال حنبل قال أبو عبدالله: هكذا نقول

وقال حرب واسماعيل الكرماني، قلت لاحمد بن حنبل : رجل قال لامرأته أنت طالق ثلاثا ان دخلت هذه الدار ، فطلقها تطليقة فانقضت عدتها وبانت منه، ثم دخلت الدار ، قال «لا يقع عليها حينئذ طلاق، لانها دخلت وليست امرأته

ولكن اذا رجعت اليه رجعت وهو على يمينه »

قال أبو عبدالله : حسبك يا أخي رحمك الله بما قد شرحته من جواب هذه المسئلة كفاية ونهاية ، لك فيه بلاغ ان كان لمولاك الكريم بك عناية ، فأعاذك من الكبر والكيد ، وخلصك من حقد أهل العجب والحسد . فليتق الله عبد في نفسه وفي المسلمين من اخوانه ولا يخاطر بها وبهم ، فقال بعلم فغنم أو سكت فسلم . فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال « أجرأكم على الفتوى أجرأكم على النار »

وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال « ان من يفتي الناس في كل مايستفتونه لمجنون »

وروي عن ابن شبرمة انه قال « في المسائل مالا يحل لاحد أن يسأل عنها ، وفيها مالا يحل لأحد أن يبحث عنها »

حدثنا ابن مخلد حدثنا عباس الدوري حدثنا احمد بن عبد الله بن يونس حدثنا ابن شهاب عن ابن حصين قال « ان أحدهم ليفتي في المسئلة لو وردت على عمر لجمع لها أهل بدر »

حدثنا أبو عمرو عمر بن احمد الدقاق حدثنا حنبل حدثنا عفان حدثنا حماد ابن زيد قال سمعت أيوب قال « رأيت أعلم الناس بالقضاء والفتوى أشدهم فراراً ، وأشدهم منه فرقا ، وأعماهم عنه أشدهم مسارعة اليه »

حدثنا ابو بكر محمد بن الحسين نملة حدثنا ابو بكر جعفر بن محمد الفريابي حدثنا محمود بن خالد حدثنا مروان بن محمد حدثنا مالك بن انس عن ربيعة بن عبد الرحمن قال : قال لي ابن خالد « ياربيعة إني ارى الناس قد أحاطوا بك ، فاذا سألك الرجل عن مسئلة فلا تكن همتك ان تخلصه ، ولكن لتكن همتك ان تخلص نفسك »

حدثنا اسحاق الكاذي حدثنا عبدالله بن الامام أحمد حدثني أبي حدثنا وكيع

حدثنا مالك ابن مغول عن زبيد قال: سألت ابراهيم عن مسئلة فقال «ماوجدت من بلدك من تسئله غيرى ؟»

حدثنا الكاذى حدثنا عبد الله حدثنا ابي حدثنا عبد الرزاق حدثنا سفيان عن ابن أبجر عن زبيد قال «ماسألت ابراهيم عن شيء قط إلا عرفت الكراهية في وجهه»

حدثنا ابو بكر محمد بن ايوب حدثنا اسماعيل بن اسحاق حدثني ابو زائد حدثني ابن وهب قال : قال مالك: قال القاسم بن محمد «لان يعيش الرجل جاهلا خير له من أن يقول على الله مالا يعلم» فقال مالك هذا كلام شديد، ثم ذكر في ذلك ابا بكر الصديق رضي الله عنه وما خصه الله عز وجل به من الفضل وما آتاه من العلم فقال : يقول ابو بكر في ذلك الزمان لا أدرى

حدثني ابو محمد اسماعيل بن علي الحطبي قال حدثنا الكديمي حدثنا احمد بن حنبل حدثنا سفيان بن عيينة قال «كان الشعبي اذا ذكر عنده الملتبس من المسائل بالصعاب، قال: زيادات وبر لاتنقاد ولاتنساق(١) لو سئل عنها اصحاب محمد صلى الله عليه وعليهم لا عضلت لهم» قال ابو العباس الكديمي أنبأنيه عن الشعبي ؟ قال حدثنيه علي بن المديني قال حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن شبرمة عن الشعبي

وحدثني ابو صالح محمد بن احمد حدثنا ابو الاحوص حدثنا الحميدى قال حدثنا سفيان عن ابن شبرمة قال كان الشعبي اذا سئل عن معضلة قال «زيادات وبراغيث السائق والعائد(١) لو ألقيت على اصحاب رسول الله ﷺ لاعضلت لهم»

قال ابو عبد الله : هذا رحمك الله قول الشعبي وهو احد علماء هذه الامة من الطبقة العليا من تابعي الصحابة ، يشبه صعاب المسائل بفصيل الناقه الذى لم يرض ولم يركب ، فهو بوبره وزغبه لايتبع قائده ،ويحرن على سائقه . وقوله لاعضلت لهم شبهها بالداء العضال الذى لايوجد له دواء ولا يرجى منه شفاء

حدثنا ابو علي محمد بن احمد البزار حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل قال

---

(١) كذا في الاصل ، وليحرر

حدثني ابي قال حدثنا عبد الرحمن بن سفيان عن الاعمش عن ابي وائل عن عبد الله قال « من أفتى الناس في كل مايستفتونه فهو مجنون »

حدثنا ابو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى حدثنا ابو خيثمة حدثنا محمد بن حازم ابو معاوية الضرير حدثنا الاعمش عن شقيق عن عبد الله بن مسعود قال « والله إن الذى يفتي للناس في كل ما يسألونه لمجنون »

قال الاعمش قال لي الحكم « لو سمعت هذا الحديث منك قبل اليوم ما كنت افتي في كثير مما كنت افتي »

حدثنا شيبة حدثنا الحساني حدثنا وكيع قال حدثنا الحسن بن صالح عن ضرار ابن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال « من أفتى فتوى يعمى عنها فانها عليه »

قال ابو عبد الله: فهذا عبد الله بن مسعود يحلف بالله : ان الذي يفتي الناس في كل مايسألونه مجنون . ولو حلف حالف لبر ، أو قال لصدق : ان أكثر المفتين في زماننا هذا مجانين ، لانك لاتكاد تلقى مسئولا عن مسئلة متلعثما في جوابها ولا متوقفا عنها، ولا خائفا لله، ولا مراقبا له أن يقول له: من أين قلت، بل يخاف ويجزع أن يقال : سئل فلان عن مسئلة فلم يكن عنده فيها جواب، يريد أن يوصف بان عنده من كل ضيق مخرجا ، وفي كل متعلق متهجراً ، يفتي فيما عيي عنه أهل الفتوى ، ويعالج ماعجز عن علاجه الاطباء ، يخبط العشوة ، ويركب السهوة[1] ، لا يفكر في عاقبة، ولا يعرف العافية، اذا أكثر عليه السائلون وحاقت به الغاشية ، ولو كان لكل حالف مخرجا من يمينه ، ولكل عليل دواء من سقمه، لما حنث الحالف ، ولا وجبت على أحد كفارة ، ولا طلقت امرأة من زوجها، ولا مات عليل إذا هو يعالج، وكيف يكون ذلك كذلك ؟ وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول « الحلف حنث او مندمة ، كل حالف حانث او نادم »

---

(١) العشوة (بضم العين وسكون الشين) ركوب الامر على غير بيان . والسهوة الناقة ، والصخرة

لو عاش عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى يعاين المفتين في هذا الزمان لرأى الامر عندهم بخلاف ذلك ، ولما رأى معهم حانثا ولا نادما

حدثنا ابو محمد السكري حدثنا ابو يعلى الساجي حدثنا الاصمعي قال حدثنا العمري عن أبيه قال قال عمر رضي الله عنه « اليمين حنث او مندمة »

ولقد روي عن النبي ﷺ مما يدل على صحة توحيد من آمن به وصدق ، وتكذيب من حاول أن يحتال لسقوط الحنث والمخرج من ضيق الايمان وحرجها

حدثنا ابو بكر محمد بن أبي الفتح المعروف بالرومي بالبصرة حدثنا ابو بكر محمد ابن جعفر بن سفيان الرقي بالرقة حدثنا أيوب بن محمد ابو سليم الوراق أخبرني عثمان ابن عطاء عن أبيه عن أبي الدرداء انه كان يقول « لا أقول والله لا أزني ولا أشرب الخمر ولا أسرق أبداً » قيل: ولم ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان البلاء موكل بالقول » ماقال عبد قط لشيء والله لا أفعله، إلا ترك الشيطان كل شيء من عمله وولع بذلك فيه حتى يؤثمه »

قال ابو عبد الله : وربما أفتى أحدهم بالفتوى ماسبقه اليها أحد ، لم توجد في كتاب مسطور، ولا عن امام مذكور، ولا يحتشم أن يقول: هذا قول فلان ومذهب فلان، تخرصا وتأثما ، ولقد بلغني أن بعض من يقدم على هذه الفتوى يؤثرها عن احمد ابن حنبل. وما لمن حكى هذا عن احمد بن حنبل جواب، غير أن يقال له: سبحانك هذا بهتان عظيم . فقد ذكرنا مذهب احمد بن حنبل في الحيل ، ومذهبه فيمن حلف أن لا يفعل شيئا فطلق امرأته تطليقة وانقضت عدتها وبانت منه ففعل ذلك الشيء أنه لاشيء عليه لانه لازوجة له ثم راجعها ـ ان اليمين يرجع عليه. ونذكر فتواه في مثل هذه المسئلة مصرحا:

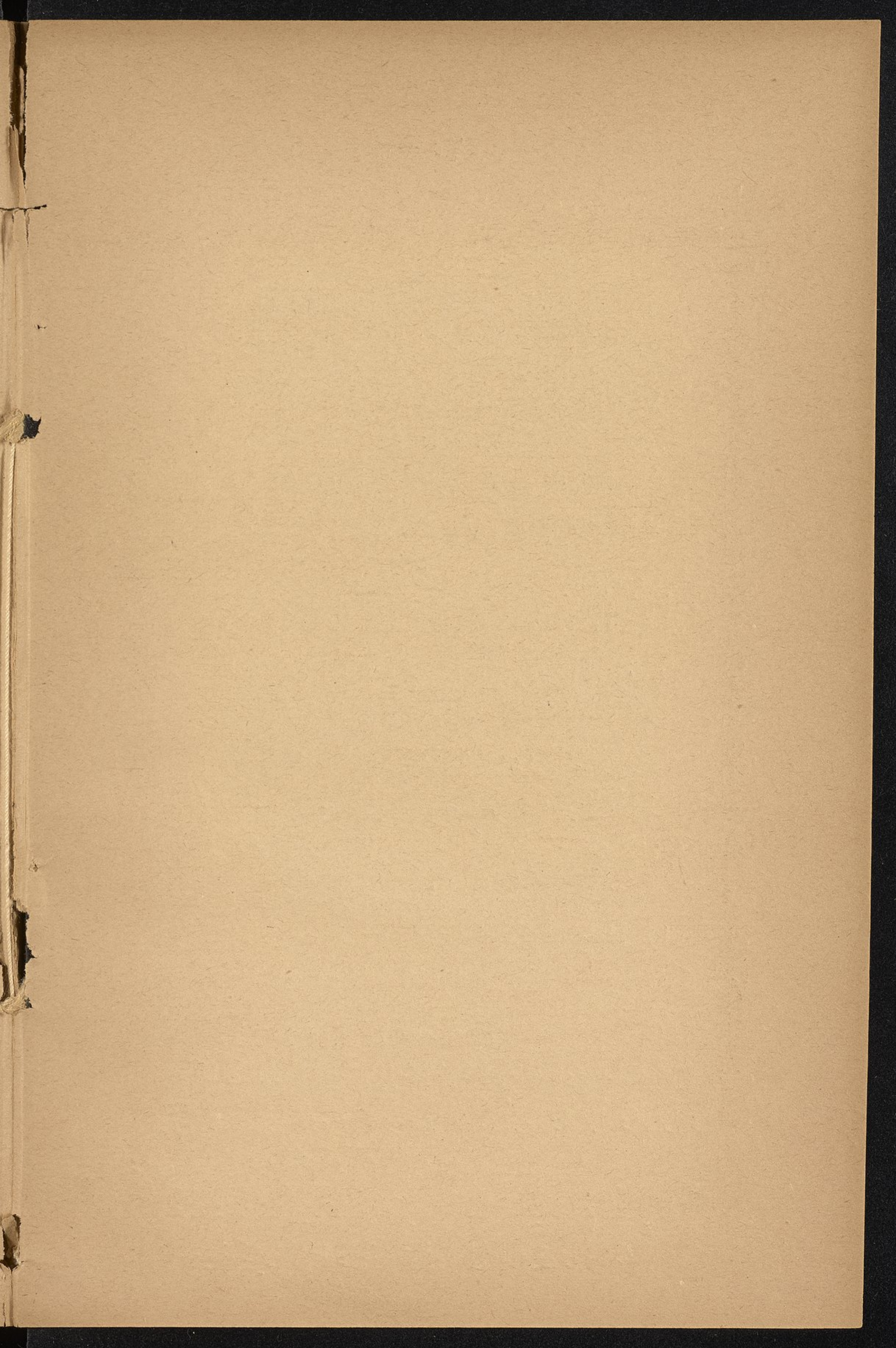
حدثني ابو بكر محمد بن أيوب قال : سمعت ابراهيم الحربي يقول: سئل احمد بن حنبل عن رجل حلف بالطلاق أنه لابد أن يطأ امرأته الليلة فوجدها حائضا فقال « تطلق منه امرأته ولا يطؤها . الله تبارك وتعالى أباح الطلاق وحرم وطء الحائض »

وانما حكاه آخرون عن الشافعي ، ولقد سألت أبا بكر الآجري وأنا في

منزله بمكة عن هـذا الخلع الذي يفتي به بعض الناس، وهو أن يحلف رجل أن يفعل شيئا لابد له من فعله ، فيقال له : اخلع زوجتك وافعل ماحلفت عليه ثم راجعها واليمين بالطلاق ثلاثا. وقلت له : ان قوما يفتون الرجل الذي يحلف بايمان البيعة ويحنث ـ أن لا شيء عليه ، ويذكرون ان الشافعي لم يرعلى من حلف بيمين البيعة شيئا. فجعل أبو بكر يعجب من سؤالي له عن هاتين المسئلتين في وقت واحد، ثم قال لي « اعلم أني منذ كتبت العلم وجلست للكلام والفتوى ما أفتيت في هاتين المسئلتين بحرف. ولقد سألت أباعبدالله الزبيري الضرير رحمه الله عن هاتين المسئلتين كما سألتني على التعجب ممن يقدم على الفتوى فيهما. فأجابني فيهما بجواب قد كتبته عنه، ثم قام فأخرج إلي كتاب أحكام الرجعة والنشوز من كتاب الشافعي، وإذا مكتوب على ظهره بخط ابي بكر رحمه الله «سألت أباعبدالله الزبيري وقلت له: ان أصحاب الشافعي رحمه الله يفتون فيها بالخلع ثم يفعل. فقال الزبيري: ما أعرف هذا من قول الشافعي، ولا بلغني له في هذا قول معروف ، ولا ارى من يذكرها عنه صادقا . وقلت له: ان الرجل يحلف بايمان البيعة فيحنث ، وبلغني ان قوما يفتونه أن لاشيء عليه أو كفارة يمين ، فجعل الزبيري يعجب من هذا ، وقال : أما هذا فما بلغني عن عالم ولا معنى قول ولا فتوى ، ولا سمعت أن أحداً أفتي في هذه المسئلة بشيء قط . وقلت الزبيري: ولا عندك فيها جواب ؟ فقال: إن ألزم الحالف نفسه جميع ما في يمين البيعة والا فلا أقول عنه هذا » فكتبت هذا الكلام من ظهر كتاب ابي بكر وقرأته عليه ، ثم قلت: إيش تقول يا أبابكر؟ فقال هكذا اقول، والا فالسكوت عن الجواب اسلم لمن يحب السلامة ان شاء الله تعالى

تم كتاب الرد على من أفتى بالخلع في غير موضعه ، وصفة الذي تحل له الفتوى ويجوز للناس ان يستفتوه ويقلدوه . والحمد لله أولا وآخراً وظاهراً وباطنا . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

علقه لنفسه محمد بن محمد بن بكر بن احمد بن عبدالدائم المقدسي حامداً لله: من نسخة سقيمة كثيرة الغلط واجتهدت فيها على ما أطيق والحمد لله



ذم ما عليه مدعو التصوف

من الغناء والرقص والتواجد وضرب الدف
وسماع المزامير ورفع الاصوات المنكرة
مما يسمونه ذكرا وتهليلا
بدعوى أنها من أنواع القرب إلى الله تعالى

تأليف

الشيخ الامام العالم المحقق ، شيخ الاسلام ، موفق الدين
أبي محمد عبد الله أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي
رحمه الله تعالى

وقف على طبعه وعني بنشره خادم السنة النبوية

محمد حامد الفقي

١٩٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على محمد وآله وسلم

ماتقول السادة الفقهاء - احسن الله توفيقهم - فيمن يسمع الدف والشبابة(1) والغناء ويتواجد، حتى انه يرقص، هل يحل ذلك ام لا ؟ مع اعتقاده انه محب لله، وان سماعه وتواجده ورقصه في الله ؟

وفي اي حال يحل الضرب بالدف ؟ هل هو مطلق، او في حال مخصوصة ؟

وهل يحل سماع الشعر بالالحان في الاماكن الشريفة، مثل المساجد وغيرها ؟

افتونا، مأجورين، رحمكم الله

قال الشيخ الامام العالم الأوحد شيخ الاسلام، موفق الدين، ابو محمد عبدالله ابن احمد بن محمد بن قدامة المقدسي رضي الله عنه:

(الجواب وبالله التوفيق) ان فاعل هذا مخطيء ساقط المروءة، والدائم على هذا الفعل مردود الشهادة في الشرع، غير مقبول القول، ومقتضى هذا أنه لا تقبل روايته لحديث رسول الله ﷺ، ولا شهادته برؤية هلال رمضان، ولا أخباره الدينية.

وأما اعتقاده محبة الله عزوجل، فانه يمكن ان يكون محباً لله سبحانه، مطيعا له في غير هذا، ويجوز أن يكون له معاملة مع الله سبحانه، وأعمال صالحة في غير هذا المقام.

وأما هذا فمعصية ولعب، ذمه الله تعالى ورسوله، وكرهه اهل العلم، وسموه بدعة، ونهوا عن فعله، ولا يتقرب الى الله سبحانه بمعاصيه، ولا يطاع بارتكاب مناهيه، ومن جعل وسيلته الى الله سبحانه معصيته، كان حظه الطرد والابعاد، ومن اتخذ اللهو واللعب دينا، كان كمن سعى في الارض بالفساد، ومن طلب الوصول الى

(1) المزمار، وكأنها سميت بذلك لانها تشب شهوة النفس، أي تثيرها

الله سبحانه من غير طريق رسول الله ﷺ وسنته فهو بعيد من الوصول الى المراد .

وقد روى أبو بكر الاثرم قال سمعت أبا عبد الله — يعني احمد بن حنبل — يقول «التغبير محدث»(١) وقال ابو الحارث: سألت أبا عبد الله عن التغبير وقلت: انه ترق عليه القلوب، فقال «هو بدعة» وروى غيره انه كرهه، ونهى عن استماعه

وقال الحسن بن عبد العزيز الجروي: سمعت الشافعي محمد بن ادريس يقول «تركت بالعراق شيئاً يقال له التغبير أحدثته الزنادقة، يصدون الناس به عن القرآن»

وقال يزيد بن هارون « مايغبر إلا فاسق، ومتى كان التغبير ؟ »

وقال عبد الله بن داود « أرى ان يضرب صاحب التغبير»

والتغبير اسم: لهذا السماع، وقد كرهه الائمة كما ترى، ولم ينضم اليه هذه المكروهات من الدفوف والشبابات، فكيف به إذ انضمت اليه واتخذوه ديناً ؟ فما أشبههم بالذين عابهم الله تعالى بقوله (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) قيل المكاء التصفير ، والتصدية التصفيق . وقال الله سبحانه لنبيه (وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا)

ومن المعلوم ان الطريق إلى الله سبحانه انما تعلم من جهة الله تعالى بواسطة رسوله ﷺ، فان الله تعالى رضيه هاديا ومبيناً، وبشيراً ونذيراً، وأمر باتباعه ، وقرن طاعته بطاعته ، ومعصيته بمعصيته ، وجعل اتباعه دليلا على محبته ، فقال سبحانه (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقال سبحانه (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة من أمرهم . ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيناً) وقال سبحانه (إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم)

---

(١) المغبرة . قوم يغبرون بذكر الله ، أي يهللون ويرددون الصوت بالقراءة ونحوها سموا بذلك لأنهم يرغبون الناس في الغابرة أي الباقية

ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ كان شفيقاً على أمته ، حريصاً على هداهم رحيما بهم ، فما ترك طريقاً تهدي إلى الصواب إلا وشرعها لأمته، ودلهم عليها بفعله وقوله، وكان أصحابه عليهم السلام من الحرص على الخير والطاعة، والمسارعة إلى رضوان الله بحيث لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا سابقوا اليها، فما نقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من صحابته انه سلك هذه الطريقة الرديئة، ولا سهر ليلة في سماع يتقرب به إلى الله سبحانه ، ولا قال: من رقص فله من الاجر كذا ولا قال الغناء ينبت الايمان في القلب ، ولا استمع الشبابة فأصغى اليها وحسنها؛ أو جعل في استماعها وفعلها أجراً. وهذا أمر لا يمكن مكابرته، واذا صح هذا لزم أن لايكون قربة إلى الله سبحانه ، ولا طريقاً موصلا اليه ، ووجب أن يكون من شر الامور، لان النبي ﷺ قال « خير الهدي هدي محمد ، وشر الامور محدثاتها » وهذا منها. وقال عليه الصلاة والسلام « كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة» وقد سمى الائمة هذا بدعة بما ذكرناه

فأما تفصيل هذه المسموعات من الدف والشبابة وسماع كل واحد منهما منفرداً فان هذه جميعها من اللعب، فمن جعلها دأبه او اشتهر بفعلها او استماعها او قصدها في مواضعها أو قصد من أجلها فهو ساقط المروءة، ولا تقبل شهادته ، ولا يعد من أهل العدلة ، وكذلك الرقاص

وأغلظها الشبابة، فانه قد روي فيها الحديث الذى يرويه سليمان بن موسى عن نافع قال: كنت مع ابن عمر في طريق فسمع صوت زامر يرعى، فعدل عن الطريق وادخل أصبعيه في أذنيه ثم قال: يا نافع، هل تسمع ؟ هل تسمع ؟ قلت: نعم ، فمضى ثم قال: يا نافع ، هل تسمع ؟ قلت: لا ، فأخرج يديه من أذنيه ، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ فعل. رواه الخلال في جامعه عن عوف بن محمد المصرى عن مروان الطاطرى عن سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى. ورواه أيضاً عن

عثمان بن صالح الانطاكي عن محمود بن خالد عن أبيه عن المطعم بن المقدام عن نافع

وسئل أحمد عن هذا الحديث، فقال: يرويه سليمان بن موسى عن نافع عن ابن عمر

وهذا مبالغة من النبي ﷺ في تحريمه لسد أذنيه وعدوله عن الطريق ولم يكتف باحدهما عن الآخر

ولانها من المزامير، وما بلغنا عن أحد من العلماء الرخصة في المزمار، فهي كالطنبور، بل هي أغلظ، فانه ورد فيها مالم يرد فيه

وأما الغناء فقد اختلف العلماء فيه. وكان أهل المدينة يرخصون فيه، وخالفهم كثير من أهل العلم، وعابوا قولهم.

قال عبد الله بن مسعود «الغناء ينبت النفاق في القلب» وقال مكحول «من مات وعنده مغنية لم يصل عليه» وقال معمر «لو ان رجلا أخذ بقول اهل المدينة في السماع - يعني الغنا، واتيان النساء في ادبارهن - وبقول اهل مكة في المتعة والصرف، وبقول اهل الكوفة في المسكر - كان شر عباد الله»

وسئل مالك بن انس عما يترخص فيه اهل المدينة من الغناء فقال «انما يفعله عندنا الفساق» وكذلك قال ابراهيم بن المنذر الحزامي.

وعلى كل حال فهو مكروه ليس من شأن أهل الدين،

فأما فعله في المساجد فلا يجوز، فان المساجد لم تبن لهذا. ويجب صونها عما هو أدنى منه، فكيف بهذا الذي هو شعار الفساق ومنبت النفاق؟

وأما الدف فهو أسهل هذه الخصال. وقد أمر به النبي ﷺ في النكاح وجاءت الرخصة فيه في غير النكاح أيضاً. ولا يتبين لي تحريمه إلا ان يكون الضارب به رجلا يتشبه بالنساء، فيحرم لما فيه من تشبه الرجال بالنساء. ويضرب به عند الميت، فيكون ذلك اظهاراً للسخط بقضاء الله والمحاربة له، فأما إن خلا من ذلك فلست أراه حراما بحال

وقد كان أصحاب عبد الله بن مسعود يخرقون الدفوف ويشددون فيها ، وذكر ذلك احمد عنهم ولم يذهب اليه ، لان السنة وردت بالرخصة فيه ، وهي أحق ما اتبع

فقد روي عن عياض بن غنم صاحب رسول الله ﷺ — وقد شهد عيداً بالانبار — فقال : ما أراكم تفلسون ، كانوا يفلسون في زمان رسول الله ﷺ يفعلونه . قال يزيد ابن هارون : التفليس ضرب الدف

وقال أنس بن مالك : مر النبي ﷺ بجوار من بني النجار وهن يضربن بدف لهن وهن يقلن :

نحن جوار من بني النجار وحبذا محمد من جار

فقال « الله يعلم اني أحبكم »

وروي ان امرأة قالت للنبي ﷺ : إني نذرت إن سلمك الله ان أضرب على رأسك بالدف ، فقال « إن كنت نذرت فافعلي وإلا فلا » أو كما جاء .

وفي الجملة فانه وإن رخص فيه للاعب فانا نعتقده لعباً ولهواً

فأما من يجعله ديناً ، ويجعل استماعه واستماع الغناء قربة وطريقاً إلى الله سبحانه فلا يكاد يوصله ذلك إلا إلى سخط الله ومقته وربما انضم إلى ذلك النظر إلى النساء المحرمات أو غلام جميل يسلبه دينه ، ويقين قلبه ، ويخالف ربه في قوله سبحانه (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) فكان ذلك دليلا على تسمحه في المخالفة لقوله (ويحفظوا فروجهم) ولم يكن ذلك أزكى لهم . ومن ابتلي بمخالفة أول الآية فليبادر إلى العمل بآخرها (وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)

وقد قال بعض التابعين « ما أنا بأخوف على الشاب الناسك من سبع ضار أكثر من الغلام الامرد يقعد اليه »

وقال ابو سهل « سيكون في هذه الامة قوم يقال لهم اللائطون على ثلاثة أصناف : صنف ينظرون ، وصنف يصافحون ، وصنف يعملون ذلك العمل »

وعن الحسن بن ذكوان انه قال « لا تجالسوا أولاد الاغنياء فان لهم صوراً كصور النساء ، وهم اشد فتنة من العذارى »

ولا ينبغي لأحد ان يغتر بنفسه ، أو يثق بما يظن في نفسه من صلابة دينه ، وقوة ايمانه ، فان من خالف حدود الله تعالى ونظر إلى ما منعه الشرع من النظر اليه نزعت منه العصمة ، ووكل إلى نفسه . وكيف يغتر عاقل بذلك ، وقد علم ما ابتلي به داود نبي الله عليه السلام ، وهو أعبد البشر ، ونبي من انبياء الله تعالى ، يأتيه خبر السماء . وتختلف اليه الملائكة بالوحي ، ومع ذلك وقع فيما وقع فيه من الذنب بسبب نظرة نظرها . وبعض عباد بني اسرائيل عبد الله سبعين عاما ثم نظر الى امرأة فافتتن بها . وبرصيصا العابد ، كان هلاكه بسبب النظر ، والنبي ﷺ يقول لعلي عليه السلام « لا تتبع النظرة النظرة ، فانما لك الاولى وليست لك الأخرى » وهو من سادات هذه الامة ، ومحله من الدين والعلم والمعرفة بالله تعالى وبحقه وحدوده وحرماته محله ، فمن انت ايها المغرور الجاهل بنفسه ؟ انظر أين انت من هؤلاء المذكورين ، وقد روى اسامة بن زيد قال قال رسول الله ﷺ « ماتركت فتنة بعدي اضر على الرجال من النساء » وجاء في الاثر « ان النظرة سهم مسموم من سهام إبليس » وقال النبي ﷺ « العينان تزنيان وزناهما النظر » وقال الفضيل بن عياض « الغناء رقية الزنا » فاذا اجتمعت رقية الزنا وداعيته ورائده فقد استكملت أسبابه ،

وقد روي عن عمر بن عبد العزيز انه قال « انه بلغني عن الثقات من حملة العلم أن حضور المعازف واستماع الاغاني واللهج بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب الماء »

ولعمري لتوقي ذلك بترك حضور تلك المواطن أيسر على ذي الذهن من الثبوت على الايمان مع ما ينبت النفاق في قلبه ، وهو حين يفارقها لا يعتقد احتواء أذنيه على شيء مما ينتفع به .

فمن أحب النجاة غداً ، والمصاحبة لأئمة الهدى ، والسلامة من طريق

الردى ، فعليه بكتاب الله فليعمل بما فيه ، وليتبع رسول الله ﷺ وصحابته فلينظر ما كانوا عليه ، فلا يعدوه بقول ولا فعل ، وليجعل عبادته واجتهاده على سننهم ، وسلوكه في طريقهم ، وهمته في اللحاق بهم ، فان طريقهم هو الصراط المستقيم ، الذي علمنا الله سبحانه سؤاله ، وجعل صحة صلاتنا موقوفة على الدعاء به فقال سبحانه معلما لنا (اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) آمين .

فمن شك أن النبي ﷺ كان على الصراط المستقيم فقد مرق من الدين ، وخرج من جملة المسلمين ، ومن علم ذلك ، وصدق به ورضي بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد نبيا ، وعلم أن الله تعالى قد أمرنا باتباع نبيه بقوله سبحانه (واتبعوه لعلكم تهتدون) وغير ذلك من الآيات . وقول النبي ﷺ « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الامور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » وقوله عليه الصلاة والسلام « خير الهدي هدي محمد . وشر الامور محدثاتها » فما باله يلتفت عن طريقه يمينا وشمالا . وينصرف عنها حالا فحالا ، ويطلب الوصول إلى الله سبحانه من سواها ، ويبتغي رضاه فيما عداها ؟

أتراه يجد أهدى منها سبيلا ، ويتبع خيراً من رسول الله ﷺ دليلا ؟ كلا ، لن يجد سوى سبيل الله سبحانه إلا سبيل الشيطان ، ولن يصل من غيرها إلا الى سخط الرحمن ، قال الله تعالى (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)

وروي عن النبي ﷺ انه خط خطا مستقيما فقال « هذا سبيل الله » وخط من ورائه خطوطا فقال « هذه سبل الشيطان ، على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ، من أجابهم اليها قذفوه في النار » أو كما جاء في الخبر .

فأخبر أن ماسوى سبيل الله هي سبل الشيطان ، من سلكها قذف في النار ،

وسبيل الله التي مضى عليها رسول الله ﷺ وأولياؤه والسابقون الاولون، واتبعهم فيها التابعون باحسان الى يوم الدين، رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم، فمن سلكها سعد، ومن تركها بعد،

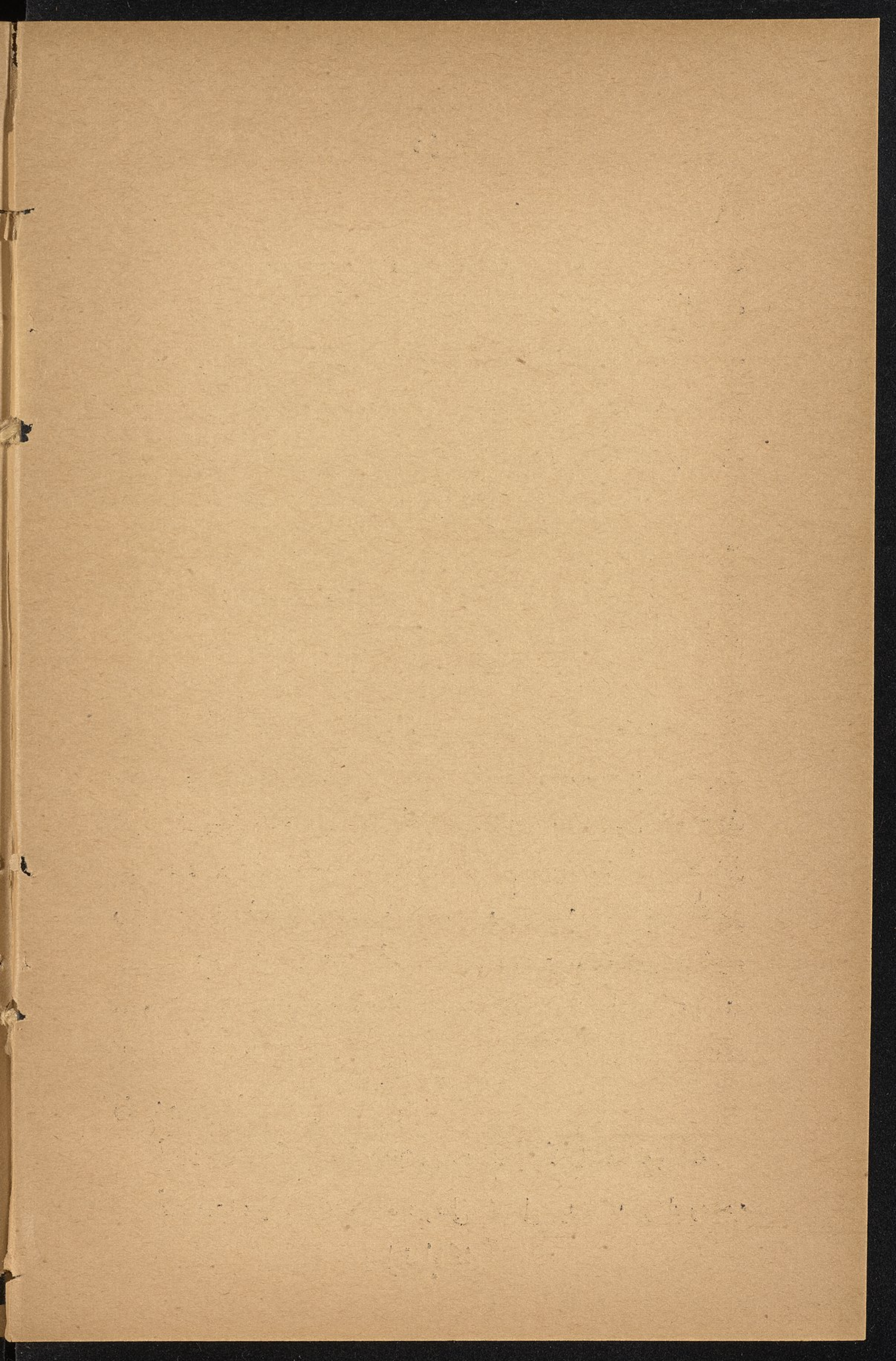
وطريق رسول الله ﷺ وسنته وأخلاقه وسيرته وما كان عليه في عبادته وأحواله مشهور بين أهل العلم، ظاهر لمن أحب الاقتداء به واتباعه، وسلوك منهجه، والحق واضح لمن أراد الله هدايته وسلامته و (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً)

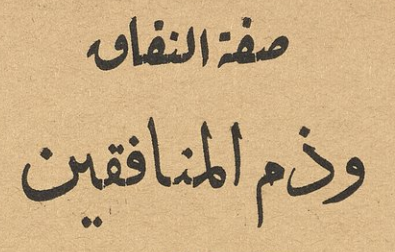
ثبتنا الله وإياكم على صراطه المستقيم، وجعلنا وإياكم ممن يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم، خالدين فيها أبداً ان الله عنده أجر عظيم

فيا أيها الآدمي المسكين المخلوق لأمر عظيم، الذى خلقت من أجله الجحيم وجنات النعيم، إذا أنت أصغيت الى الملاهي بسمعك، ونظرت الى محارم الله ببصرك، وأكلت الشبهات بفيك، وأدخلتها إلى بطنك، ورضيت لنفسك برقصك ونقصك، وأذهبت أوقاتك العزيزة في هذه الاحوال الخسيسة، وضيعت عمرك الذى ليست له قيمة، في كسب هذه الخصال الذميمة، وشغلت بدنك المخلوق للعبادة، بما نهى الله عنه عباده، وجلست مجالس البطالين، وعملت أعمال الفاسقين والجاهلين، فسوف تعلم اذا انكشف الغطاء، ونزل القضاء، ماذا يحل بك من الندم يوم ترى منازل السابقين، وأجور العاملين، وأنت مع المخلفين المفرطين، معدود في جملة المبطلين الغافلين، قد زلت بك القدم، ونزل بك الالم، واشتد بك الندم، فيومئذ لا يرحم من بكى، ولا يسمع من شكى، ولا يقال من ندم، ولا ينجو من عذاب الله إلا من رحم.

أيقظنا الله واياكم من سنة الغفلة، واستعملنا واياكم فيما خلقنا له برحمته.

تمت الفتيا، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً





تأليف

الامام المحدث الكبير أبى بكر جعفر بن محمد الفريابى

رحمه الله تعالى

وقف على طبعه وعني بنشره خادم السنة النبوية

محمد حامد الفقي

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر

الطبعة الاولى في مطبعة المنار بمصر

١٣٤٩ هـ

١٩٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله والصلاة والسلام على خير رسل الله. محمد وعلى آله ومن والاه)

أنبأنا أبو جعفر محمد بن احمد بن محمد بن عمر بن المسلمة قال: أنبأنا أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن سعد بن ابراهيم الزهري قراءة عليه في منزلنا ، بدرب سليم ، في شعبان سنة ثمانين وثلاثمائة . أنبأنا أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض الفريابي سنة ثمان وتسعين ومائتين قال:

باب ماروي في صفة المنافق

﴿ وان من كان فيه ثلاث خصال فهو منافق حقا ﴾

حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا اسماعيل بن جعفر عن أبي سهيل نافع بن مالك بن أبي عامر عن أبيه عن ابي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان »

حدثنا أبو كريب حدثنا خالد بن مخلد حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير حدثنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة . قال قال رسول الله ﷺ «من علامات المنافق ثلاث: اذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف واذا ائتمن خان»

حدثنا عمرو بن علي حدثنا عيسى بن محمد بن قيس حدثنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان »

حدثنا اسحاق بن راهويه حدثنا النضر بن شميل حدثنا أبو معشر عن سعيد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « ثلاث من كن فيه فهو منافق ، اذا

حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، واذا ائتمن خان » قال رجل : يارسول الله ذهبت اثنتان وبقيت واحدة ؟ قال « فان عليه شعبة من نفاق مابقي فيه منهن شيء »

حدثنا ابراهيم بن الحجاج الشامي حدثنا حماد بن سلمة عن داود بن أبي هند عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « ثلاث من كن فيه فهو منافق ، وان صام وصلى وزعم انه مسلم: إذا حدث كذب ، واذ وعد أخلف ، واذا ائتمن خان »

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا اسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن عبدالرحمن ابن معمر، انه سمع سعيد بن المسيب يسأل رجلا : كيف بلغك ان رسول الله ﷺ قال آية المنافق ؟ قال « اذا حدث كذب، واذا وعد أخلف ، وإذاائتمن خان » ثم مر عليه رجل فسأله أيضا ، فقال له مثل ذلك ، حتى مرعليه رجلان

حدثنا عمرو بن علي حدثنا ابو داود حدثنا شعبة اخبرني منصور سمعت أبا وائل يحدث عن عبدالله عن النبي ﷺ قال« آية المنافق اذا حدث كذب واذا وعد اخلف ، واذا ائتمن خان» قال عمرو بن علي: لاأعلم احدا تابع أباداود على هذا . وابو داود ثقة

حدثنا عثمان بن ابي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن ابي وائل عن عبدالله ابن مسعود قال « ثلاث من كن فيه فهو منافق : كذوب اذا حدث، مخلف اذا وعد . خائن اذا ائتمن. فمن كانت فيه خصلة ففيه خصلة من النفاق حتى يدعها»

حدثنا عبد الاعلى بن حماد النرسي حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن ابي وائل عن عبد الله قال « ثلاث من كن فيه فهو منافق :إذا حدث كذب واذا وعد اخلف ،وإذا ائتمن خان» وقال عبد الله بن عمرو « إذا خاصم فجر . وإذا عاهد غدر »

حدثنا أبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة قالا حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن عمارة بن عمير عن عبدالرحمن بن يزيد قال قال عبدالله بن مسعود «اعتبروا المنافق بثلاث : اذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر » ثم قرأ (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين * فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون * فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون)

حدثنا يزيد بن خالد بن موهب الرملي حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو ابن الحرث عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال « في المنافق ثلاث ، وان صام وصلى وزعم أنه مسلم : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان »

حدثني أبو امية عمرو بن هشام الحراني حدثنا عثمان بن عبد الرحمن عن عكرمة بن عمار عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك ان رسول الله ﷺ قال « ثلاث من كن فيه فهو منافق ، وإن صام وصلى وقال اني مؤمن : من إذا حدث كذب ، وإذا ائتمن خان ، وإذا وعد أخلف »

حدثنا أبو بكر بن ابي شيبة حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ « اربع من كن فيه كان منافقا ، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها : اذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر »

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا غندر عن شعبة عن سماك بن حرب عن صبيح بن عبد الله عن عبد الله بن عمرو قال « ثلاث من كن فيه فهو منافق : من اذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان » ثم تلا هذه الآية

(ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدقن) الى آخر الايات

حدثنا أبو الوليد هشام بن عمار الدمشقي حدثنا أسد بن موسى أبو سعيد حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة انه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي عن عبدالله ابن عمرو بن العاص قال « ثلاث اذا كن في عبد فلا تتحرج ان تشهد عليه أنه منافق : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان . ومن كان اذا حدث صدق ، واذا وعد انجز ، وإذا ائتمن أدى ، فلا تتحرج أن تشهد أنه مؤمن »

حدثنا اسحق بن راهويه أنبأنا عيسى بن يونس حدثنا الاوزاعي عن هرون ابن زياب أن عبد الله بن عمرو لما حضرته الوفاة خطب اليه رجل ابنته فقال له : « إني قد قلت فيه قولا شبيها بالعدة ، واني أكره أن القى الله عز وجل بثلث النفاق »

حدثني أبو بكر سعيد بن يعقوب الطالقاني حدثنا عبد الله بن المبارك عن الاوزاعي عن هرون بن زياب أن عبد الله بن عمرو لما حضرته الوفاة قال : « انظروا فلانا – لرجل من قريش ، فاني كنت قلت له في ابنتي قولا كشبيه العدة . وما أحب أن القى الله بثلث النفاق . وأشهدكم أني قد زوجته »

حدثنا أبو تقي هشام بن عبد الملك الحمصي حدثنا محمد بن حرب حدثنا الزبيدي – وهو محمد بن الوليد – عن سليم بن عامر الخبائري عن ابي أمامة الباهلي قال « المنافق الذي إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان ، واذا غنم غل . وإذا امر عصى . وإذا لقي جبن . فمن كن فيه ففيه النفاق كله . ومن كان فيه بعضهن ففيه بعض النفاق »

حدثنا عمرو بن علي حدثنا يزيد بن زريع حدثنا يونس بن عبيد عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ « ثلاث من كن فيه فان صام وصلى وزعم انه مسلم فهو منافق : اذا ائتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف »

حدثنا وهب بن بقية انبأنا خالد عن بيان عن عامر الشعبي قال « من كذب

فهو منافق » ثم قال « ما ادري ايهما ابعد غورا في النار : الكذب او الشح ؟ »

حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا ابي حدثنا حسين المعلم عن ابن بريدة عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ « إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان »

حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري وابو عبد الله محمد بن ابي بكر المقدمي قالا حدثنا ديلم بن غزوان حدثنا ميمون الكردي عن ابي عثمان النهدي قال : كنت عند عمر بن الخطاب فسمعته يقول في خطبته: سمعت رسول الله ﷺ يقول « اخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان »

حدثنا محمد بن المثنى حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا الحسن بن ابي جعفر حدثنا ميمون الكردي عن ابي عثمان النهدي سمعت عمر بن الخطاب في خطبته يقول « حذرنا رسول الله ﷺ كل منافق عليم اللسان »

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جعفر بن سليمان عن المعلى بن زياد عن ابي عثمان النهدي قال: سمعت عمر بن الخطاب وهو على منبر رسول الله ﷺ ، أكثر من عدد أصابعي هذه وهو يقول « إن أخوف ما أخاف على هذه الامة: المنافق العليم » قيل وكيف يكون المنافق العليم ؟ قال « عالم اللسان ، جاهل القلب والعمل »

حدثنا عبد الاعلى بن حماد النرسي حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن عن الاحنف بن قيس قال : قدمت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاحتبسني عنده حولا فقال « يا أحنف، اني قد بلوتك وخبرتك، فرأيت علانيتك حسنة، وانا أرجو أن تكون سريرتك على مثل علانيتك ، وانا كنا نتحدث انما يهلك هذه الامة كل منافق عليم »

حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا وكيع بن الجراح عن كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال : قال عمر رضي الله عنه « ما أخاف عليكم أحد

رجلين : رجل مؤمن قد تبين ايمانه، ورجل كافر قد تبين كفره ، ولكن أخاف عليكم منافقا يتعوذ بالايمان، يعمل بغيره »

حدثنا وهب بن بقية انبأنا اسحاق بن يوسف عن زكريا بن ابي زائدة عن عامر الشعبي عن زياد بن حدير قال : قال عمر رضي الله عنه « إن أخوف ما أخاف عليكم ثلاثة : منافق يقرأ القرآن لا يخطيء فيه واواً ولا ألفاً، يجادل الناس ، انه أعلم منهم ليضلهم عن الهدى ، وزلة عالم ، وأئمة مضلون »

حدثنا تميم بن المنتصر انبأنا اسحاق بن يوسف عن زكريا باسناده مثله سواء

حدثني زكريا بن يحيى البلخي حدثنا وكيع عن مالك بن مغول عن ابي حصين عن زياد بن حدير قال : قال عمر بن الخطاب « يهدم الاسلام ثلاث : زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن ، وأئمة مضلون »

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابن لهيعة عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله « أكثر منافقي أمتي قراؤها »

حدثنا محمد بن الحسن البلخي، بسمرقند سنة ست وعشرين ومائتين ، انبأنا عبد الله بن المبارك انبأنا ابن لهيعة حدثنا ابو المصعب مشرح بن هاعان سمعت عقبة بن عامر الجهني يقول :قال رسول الله ﷺ « أكثر منافقي أمتي قراؤها»

حدثنا محمد بن ابي بكر المقدمي، بالبصرة سنة احدى وثلاثين ومائتين، حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا ابن لهيعة عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر ان رسول الله ﷺ قال « أكثر منافقي هذه الامة قراؤها »

حدثنا أحمد بن خالد الخلال حدثنا ابوسلمة الخزاعي انبأنا الوليد بن المغيرة ابو العباس المصري - ولم أر بمصر كان أثبت منه - حدثنا مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر عن رسول الله ﷺ انه كان يقول « أكثر منافقي أمتي قراؤها»

حدثنا محمد بن الحسن البلخي انبأنا عبد الله بن المبارك انبأنا عبدالرحمن بن

شريح المعافري حدثنا شراحيل بن يزيد عن محمد بن هدية عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال قال رسول الله ﷺ « أكثر منافقي أمتي قراؤها »

حدثنا ابو بكر وعثمان ابنا ابي شيبة قالا حدثنا زيد بن الحباب حدثنا عبد الرحمن بن شريح ، ابو شريح الاسكندري ، حدثني شراحيل بن يزيد المعافري سمعت محمد بن هدية الصدفي قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول قال رسول الله ﷺ « أكثر منافقي أمتي قراؤها »

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابو عوانة عن قتادة عن أنس بن مالك عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله ﷺ « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الاترجة ، ريحها طيب ، وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة ، لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ، ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر »

حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة عن أنس بن مالك ، عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله ﷺ قال « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الاترجة » وذكر الحديث

حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا شعبة حدثني قتادة عن أنس بن مالك عن ابي موسى عن النبي ﷺ قال « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كمثل الاترجة ، طيبة الطعم طيبة الريح ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة ، طيبة الطعم لا ريح لها ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ، طيبة الريح وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة مرة الطعم ولا ريح لها »

أخبرنا ابو خالد يزيد بن خالد بن موهب الرملي ، بالرملة سنة اثنتين وثلاثين ،

حدثنا الليث بن سعد عن عقيل بن خالد عن ابن شهاب الزهري ان أبا ادريس عائذ الله بن عبدالله الخولاني اخبره ان يزيد بن عميرة ـ وكان من أصحاب معاذ ابن جبل ـ قال كان معاذ بن جبل لايجلس مجلساً للذكر إلا قال حين يجلس «الله حكم قسط، تبارك اسمه، هلك المرتابون» وقال معاذ بن جبل يوما «إن من ورائكم فتنا يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق، والرجل والمرأة، والصغير والكبير، والحر والعبد، فيوشك قائل ان يقول: ما للناس لايتبعوني، وقد قرأت القرآن؟ ماهم بمتبعي حتى ابتدع لهم غيره، فاياكم وما ابتدع، فان ما ابتدع ضلالة، وأنذركم زيغة الحكيم، فان الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق»

حدثنا العباس بن محمد حدثنا يعقوب بن ابراهيم بن سعد حدثنا ابي عن صالح ابن كيسان عن ابن شهاب الزهري حدثني ابو ادريس الخولاني ان يزيد ابن عميرة ـ وكان من أصحاب معاذ ـ قال: ان معاذاً كان لايجلس مجلسا يذكر الله إلا قال حين يجلس «الله حكم قسط، تبارك اسمه، هلك المرتابون» قال يزيد قال معاذ في مجلس جلسه «إن وراءكم فتنا يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن، حتى يأخذ به المؤمن والمنافق، والرجل والمرأة، والصغير والكبير، والحر والعبد» فذكر مثل الحديث

حدثنا عثمان بن ابي شيبة حدثنا عبد الله بن ادريس عن اسماعيل بن ابي خالد عن حكم بن جابر قال قال حذيفة «إن من اقرأ الناس المنافق الذي لايترك واواً ولا ألفا يلفته كما تلفت البقرة الخلا[1] بلسانها»

حدثنا تميم بن المنتصر انبأنا يزيد بن هارون انبأنا حريز بن عثمان انبأنا

---

(١) يقال: فلان يلفت الكلام لفتا يرسله على عواهنه لايبالي كيف جاء. والمعنى: أنه يقرؤه من غير روية ولا تبصر، وتعمد للمأمور به غير مبال بمتلوه كيف جاء كما تفعل البقرة بالحشيش اذا أكلته. وأصل اللفت: لي الشيء عن الطريقة المستقيمة

سليم بن عامر عن معاوية الهذلي - وكان من أصحاب النبي ﷺ - قال « إن المنافق ليصلي فيكذبه الله ، ويصوم فيكذبه الله ، ويقاتل فيقتل، فيجعل في النار »

حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا مبارك بن فضالة حدثنا الحسن - في هذه الآية (أرأيت من اتخذ إلهه هواه) قال « هو المنافق لايهوى شيئا إلا ركبه »

حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام بن يحيى عن قتادة (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) قال « اذا هوى شيئا ركبه »

حدثنا احمد بن ابراهيم حدثنا مرحوم بن عبد العزيز عن مالك بن دينار قال « قرأت في الزبور : بكبرياء المنافق يحترق المسكين، وقرأت في الزبور : اني أنتقم للمنافق، من المنافق ثم أنتقم من المنافقين جميعا . فذلك قول الله عز وجل (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون) »

وقال مالك « في بعض الكتب : يامعشر الظلمة لاتجالسوا أهل ذكري حتى تنزعوا عن الظلم ، فاني روات[1] على نفسي اني أذكر من ذكرني ، فاذا ذكروني ذكرتهم برحمتي ، واذا ذكرتموني ذكرتكم بلعنتي »

حدثنا احمد بن خالد حدثنا شعيب بن حرب حدثنا ابو الاشهب عن الحسن قال « المنافق يعبد هواه لايهوى شيئا إلا ركبه »

حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا ابو أسامة عن ابي الاشهب قال : قال الحسن « من النفاق اختلاف اللسان والقلب ، واختلاف السر والعلانية ، واختلاف الدخول والخروج »

حدثنا هشام بن عمار الدمشقي حدثنا مروان بن معاوية الفزاري حدثنا عوف الاعرابي عن الحسن قال « كان يقال : النفاق اختلاف السر والعلانية ، والقول والعمل ، والمدخل والمخرج . وكان يقال : أس النفاق الذي يبنى عليه النفاق - الكذب »

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها (كتبت)

حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا وهب بن جرير حدثنا ابي انه سمع الحسن يقول «انما الناس ثلاثة نفر: مؤمن، ومنافق، وكافر، فأما المؤمن فعامل بطاعة الله، وأما الكافر فقد أذله الله تعالى كما رأيتم، وأما المنافق فههنا وههنا في الحجر والبيوت والطرق. نعوذ بالله، والله ما عرفوا ربهم، بل عرفوا انكارهم لربهم بأعمالهم الخبيثة. ظهر الجفا، وقل العلم، وتركت السنة. فانا لله وانا اليه راجعون، حيارى سكارى، ليسوا يهوداً ولا نصارى ولا مجوسا فيعذروا» وقال «إن المؤمن لم يأخذ دينه عن الناس، ولكن أتاه من قبل الله عز وجل فأخذه. وان المنافق أعطى الناس لسانه ومنع الله قلبه وعمله، محدثان احدثا في الاسلام: رجل ذو رأي سوء زعم ان الجنة لمن رأى مثل رأيه، فسل سيفه، وسفك دماء المسلمين، واستحل حرمتهم، ومترف يعبد الدنيا، لها يغضب، وعليها يقاتل، ولها يطلب — وقال: ياسبحان الله مالقيت هذه الامة من منافق قهرها، واستأثر عليها. وما رق مرق من الدين فخرج عليها، صنفان خبيثان قد غما كل مسلم. يا ابن آدم دينك دينك، فانما هو لحمك ودمك، فان تسلم، فيالها من راحة، ويالها من نعمة، وإن تكن الاخرى فنعوذ بالله، فانما هي نار لاتطفأ، وحجر[1] لايبرد، ونفس لاتموت»

حدثنا العباس بن الوليد ابن مزيد أخبرني ابي حدثني ابو بشر الضحاك ابن عبد الرحمن قال سمعت بلال بن سعد يقول «المنافق يقول مايعرف ويعمل بما ينكر»

حدثنا ابو بكر وعثمان ابنا ابي شيبة حدثنا وكيع بن الجراح عن الاعمش عن ابي وائل عن حذيفة قال «المنافقون الذين فيكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ» فقلنا: يا أبا عبد الله، وكيف ذاك؟ قال «إن أولئك كانوا يسرون نفاقهم، وان هؤلاء يعلنون»

حدثنا عباس بن محمد حدثنا ابو النضر حدثنا شعبة عن الاعمش عن ابي وائل

---

(١) كذا في الاصل ولعلها (وجحيم)

عن حذيفة قال « إن المنافقين اليوم شر من المنافقين الذين كانوا » فذكر نحوه

حدثنا عباس حدثنا ابو النضر حدثنا شعبة عن واصل عن ابي وائل عن حذيفة ـ مثله

حدثني ابو مسعود احمد بن الفرات انبأنا يزيد بن هارون انبأنا شعبة عن واصل عن ابي وائل عن حذيفة قال « المنافقون اليوم شر منهم على عهد رسول الله ﷺ » قيل : وكيف ذاك ؟ قال « انهم كانوا يخفونه على عهد رسول الله ﷺ وهم اليوم يظهرونه »

حدثنا عثمان بن ابي شيبة حدثنا محمد بن جعفر غندر، عن شعبة عن عمرو بن مرة عن عبدالله بن سلمة عن حذيفة قال « انكم اليوم تستعينون في غزوكم بالمنافقين »

حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا وكيع عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن ابي البختري قال قال رجل : اللهم أهلك المنافقين . فقال حذيفة « لو هلكوا ماانتصفتم من عدوكم »

حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا وكيع عن الاعمش عن سلمة بن كهيل عن حية بن خوين قال : كنا مع سلمان في غزاة فقال سلمان « هؤلاء المشركون ـ يعني العدو ، وهؤلاء المؤمنون ، وهؤلاء المنافقون ، فيؤيد الله المؤمنين بقوة المنافقين وينصر الله المنافقين بدعوة المؤمنين »

حدثنا عبيد الله القواريري حدثنا حماد بن زيد عن أيوب قال : دخل عمر بن عبدالعزيز على ابي قلابة يعوده ، فقال له « ياأبا قلابة ، تشدد ولا تشمت بنا المنافقين »

حدثنا محمد بن عبيد بن خشاب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب قال : مرض ابو قلابة بالشام ، فدخل عليه عمر بن عبد العزيز فقال « ياأبا قلابة ، تشدد ولا تشمت بنا المنافقين »

حدثنا عبد الرحمن بن ابراهيم الدمشقي حدثنا مروان بن محمد حدثنا

عبد العزيز بن محمد عن قدامة بن موسى عن عبد الله بن دينار عن وهب بن منبه أو وهب الذماري قال « صفة المنافق: تحيته لعنة ، وطعامه سحت، وغنيمته غلول ، صخب بالنهار ، خشب بالليل(١) »

حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا سلام بن مسلم عن حبيب بن فضالة قال: كان بعض المهاجرين يقول « والله ما أخاف المسلم ولا أخاف الكافر، أما المسلم فيحجزه اسلامه، وأما الكافر فقد أذله الله عز وجل، ولكن كيف لي بالمنافق؟ »

حدثنا احمد بن عيسى حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب الزهري عن عبد الله بن خارجة بن زيد عن عروة بن الزبير قال: أتيت عبد الله بن عمر فقلت له « يا أبا عبد الرحمن، انا نجلس إلى أئمتنا هؤلاء فيتكلمون بالكلام، نعلم ان الحق غيره، فنصدقهم، ويقضون بغير الحق، فنقو به عليهم ونحسنه لهم، فكيف ترى في ذلك؟ فقال « يا ابن أخي، كنا مع رسول الله ﷺ نعد هذا النفاق، ولا ندري كيف هو عندكم؟ »

حدثنا عبد الرحمن بن ابراهيم حدثنا عمر بن عبد الواحد عن الاوزاعي عن الزهري عن عروة قال: قلت لابن عمر « انا لندخل على الامام » – فذكر نحوه

حدثنا هشام بن عمار حدثنا عبد العزيز بن ابي حازم عن أبيه عن عبد الله ابن عمر انه رأى الناس يدخلون المسجد فقال « من أين جاء هؤلاء؟ » فقالوا من عند الامير، فقال « إن رأوا منكراً أنكروه، وإن رأوا معروفا أمروا به؟ » قالوا لا. قال « فما يصنعون؟ » قالوا يمدحونه، ويسبونه اذا خرجوا من عنده، فقال ابن عمر « إن كنا لنعد النفاق على عهد رسول الله ﷺ فيما دون هذا »

حدثنا عثمان بن ابي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن ابراهيم عن ابي الشعثاء قال: دخل نفر على عبد الله بن عمر من أهل العراق، فوقعوا في يزيد بن معاوية فتناولوه . فقال لهم عبد الله « هذا قولكم لهم عندي، أتقولون هذا في وجوههم؟ »

---

(١) رجل خشب قشب – بوزن كتف – لا خير فيه

قالوا: لا، بل نمدحهم ونثني عليهم، فقال ابن عمر «هذا النفاق عندنا»

حدثنا اسحاق بن سيار حدثنا ابو صالح حدثنا معاوية بن صالح عن المهاجر ابن حبيب ان عيسى بن مريم كان يقول «إن الذي يصلي ويصوم ولا يترك الخطايا مكتوب في الملكوت كذاب»

حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا وكيع عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال «المنافق الذي اذا صلى راءى بصلاته، وإن فاتته لم يأس عليها. ويمنع زكاة ماله»

حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا وكيع عن الاعمش وسفيان عن ابي المقدام ثابت بن هرمز عن ابي يحيى قال، سئل حذيفة: من المنافق؟ قال الذي «يصف الاسلام ولا يعمل به»

حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابو سعيد أسيد بن موسى حدثنا الفرج بن فضالة عن لقمان بن عامر انه سمع أبا امامة الباهلي يقول «المؤمن في الدنيا بين كافر يقتله، ومنافق يبغضه، ومؤمن يحسده، وشيطان قد وكل به»

حدثنا زكريا بن يحيى البلخي حدثنا ابو مطيع عن جعفر بن حبان قال: قيل للحسن: انهم يقولون لا نفاق، فقال الحسن «لان أعلم أني بريء من النفاق أحب إلي من طلاع الارض ذهبا[1]»

باب

﴿ماروي فيمن كان يخاف النفاق ويشفق منه ولا يأمنه على نفسه﴾

حدثنا عمرو بن عثمان بن كثير بن دينار الحمصي حدثنا بقية بن الوليد حدثني صفوان بن عمرو حدثني سليم بن عامر حدثني جبير بن نفير انه سمع أبا الدرداء — وهو في آخر صلاته، وقد فرغ من التشهد — يتعوذ بالله من النفاق، فأكثر التعوذ منه قال فقال جبير: ومالك يا أبا الدرداء أنت والنفاق؟ فقال «دعنا عنك دعنا عنك،

(١) طلاع الشيء — بوزن كتاب — ماؤه

فوالله إن الرجل ليقلب عن دينه في الساعة الواحدة فيخلع منه »

حدثني ابو مسعود احمد بن الفرات انبأنا ابو اليمان انبأنا صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر عن جبير بن نفير قال دخلت على ابي الدرداء منزله بحمص فاذا هو قائم يصلي في مسجده ، فلما جلس يتشهد جعل يتعوذ بالله من النفاق ، فلما انصرف قلت له : غفر الله لك يا أبا الدرداء، ما أنت والنفاق، ماشأنك وما شأن النفاق؟ فقال « اللهم غفراً - ثلاثا - لا يأمن البلاء من يأمن البلاء ، والله إن الرجل ليفتن في ساعة واحدة وينقلب عن دينه »

حدثنا ابو عبدالله محمد بن عائذ الدمشقي حدثنا الهيثم بن جميل حدثنا الوضين ابن عطاء عن يزيد بن مزيد قال : ذكر الدجال في مجلس فيه ابو الدرداء ، فقال نوف البكالي « لغير الدجال أخوف من الدجال » فقال ابو الدرداء : وما هو ؟ قال نوف « أخاف أن أسلب إيماني وأنا لا أشعر » فقال ابو الدرداء ، ثكلتك أمك يا ابن الكندية، وهل في الارض مائة يتخوفون ماتتخوف ؟ ثكلتك أمك يا ابن الكندية ، وهل في الارض خمسون يتخوفون ماتتخوف ؟ ثم قال وثلاثون ثم قال وعشرون ، ثم قال وعشرة ، ثم قال وخمسة ، ثم قال وثلاثة . كل ذلك يقول ثكلتك أمك - ثم قال أبو الدرداء ، والذي نفسي بيده ما أمن عبد على إيمانه إلا سلبه ، أو انتزع منه ، فيفقده ، والذي نفسي بيده ما الايمان إلا كالقميص يتقمصه مرة ويضعه أخرى »

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن ابي حبيب عن أسلم أبي عمران سمعت أبا أيوب الانصاري يقول «ليأتين على الرجل أحايين وما في جلده موضع ابرة من النفاق ، وانه ليأتي عليه أحايين وما في قلبه موضع ابرة من الايمان »

حدثنا يزيد بن خالد بن موهب الرملي حدثنا عبد الله بن وهب أنبأنا حيوة

ابن شريح عن يزيد بن ابي حبيب عن أبي عمران أنه سمع أبا أيوب الانصاري يقول « ليأتين على الرجل أحيان وما في جلده موضع ابرة من النفاق ، وانه ليأتي عليه أحيان وما في جلده موضع ابرة من إيمان »

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال « كان النفاق غريبا في الايمان ويوشك أن يكون الايمان غريبا في النفاق »

حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابو سعيد أسيد بن موسى حدثنا ابن لهيعة باسناده — مثله

حدثنا العباس بن الوليد النرسي حدثنا بشر بن السري عن محمد بن مسلم عن يزيد بن يزيد بن جابر عن أبي ادريس الخولاني أنه قال « ما على ظهرها من بشر لايخاف على إيمانه أن يذهب إلا ذهب »

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جعفر بن سليمان عن الجعد ابي عثمان قال : قلت لابي رجاء العطاردي : هل أدركت ممن أدركت من أصحاب رسول الله ﷺ يخشون النفاق ؟ — وكان قد أدرك عمر رضي الله عنه ، قال « نعم ، اني أدركت بحمد الله منهم صدراً حسناً ، نعم شديداً نعم شديداً »

حدثنا عبد الاعلى بن حماد النرسي حدثنا حماد بن سلمة عن حبيب بن الشهيد أن الحسن كان يقول « إن القوم لما رأوا هذا النفاق يغول الايمان لم يكن لهم هم غير النفاق »

حدثنا هشام بن عمار حدثنا أسيد بن موسى عن أبي الاشهب عن الحسن قال — لما ذكر أن النفاق يغول الايمان « لم يكن شيء أخوف عندهم منه »

حدثنا هشام حدثنا أسد بن موسى حدثنا محمد بن سليم — وهو ابو هلال — قال سأل أبان الحسن فقال : هل تخاف النفاق ؟ قال « وما يؤمنني ، وقد خاف عمر رضي الله عنه ؟ »

حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا ابو الاشهب عن طريف، قال قلت للحسن: ياأبا سعيد، إن ناسا يزعمون أن لانفاق - أو لايخافون النفاق - شك ابو الاشهب - فقال « والله لان أكون أعلم اني بريء من النفاق أحب إلي من طلاع الارض ذهبا»

حدثنا هشام بن عمار حدثنا أبو سعيد أسد بن موسى حدثنا عون بن موسى البصري سمعت معاوية بن قرة يقول « أن لا يكون فيّ نفاق أحب إلي من الدنيا وما فيها، كان عمر رضي الله عنه يخشاه وآمنه أنا؟»

حدثنا قتيبة حدثنا جعفر بن سليمان عن المعلى بن زياد سمعت الحسن يحلف في هذا المسجد « بالله الذي لاإله إلا هو، مامضى مؤمن قط ولا بقي إلا وهو من النفاق مشفق، ولا مضى منافق قط ولا بقي إلا وهو من النفاق آمن » قال وكان يقول « من لم يخف النفاق فهو منافق »

حدثنا ابو قدامة عبيد الله بن حسن السرخسي أنبانا مؤمل بن اسماعيل عن حماد بن زيد عن أيوب قال سمعت الحسن يقول « والله ماأصبح ولا أمسى مؤمن إلا وهو يخاف النفاق على نفسه »

حدثنا محمد بن عبيد بن خشاب حدثنا حماد بن زيد عن يحي بن عبيق قال محمد بن سيرين « لم يكن شيء أخوف على من قال هذا القول من هذه الآية (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين)

حدثنا ابراهيم بن العلاء الحمصي حدثنا اسماعيل بن عياش عن بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن عمرو بن الاسود العنسي أنه كان اذا خرج إلى المسجد قبض بيمينه على شماله، فسئل عن ذلك، فقال « مخافة أن تنافق يدي »

حدثنا عبد الرحمن بن ابراهيم الدمشقي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي قال سمعت بلال بن سعد يقول « لاتكن وليا لله في العلانية وعدوه في السر »

حدثنا ابو قدامة عبيدالله بن سعيدالسرخسي، بالفرياب سنةسبع وعشرين، سمعت عبد الرحمن بن مهدي عن سلام بن ابي مطيع (ح) وحدثنا يعقوب بن ابراهيم الدورقي، ببغداد سنة أربع وثلاثين ومائتين، حدثنا عبدالرحمن بن مهدي عن سلام بن أبي مطيع: سمعت أيوب وعنده رجل من المرجئة، فجعل الرجل يقول: انما هو الكفر والايمان. وأيوب ساكت، قال فأقبل عليه أيوب فقال « ارأيت قوله (وآخرون مرجئون[1] لأمر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم) أمؤمنون هم أم كفار؟» قال فسكت الرجل، فقال أيوب « اذهب فاقرأ القرآن، فكل آية في القرآن فيها ذكر النفاق فاني أخافها على نفسي »

حدثنا محمد بن السرى العسقلاني حدثنا زيد بن ابي الزرقاء عن سفيان الثوري قال « خلاف ما بيننا وبين المرجئة ثلاث : نقول الايمان قول وعمل، وهم يقولون الايمان قول ولا عمل ، ونقول : الايمان يزيد وينقص ، وهم يقولون : لا يزيد ولا ينقص . ونحن نقول: النفاق، وهم يقولون : لا نفاق»

حدثنا محمد بن الحسن البلخي انبأنا عبد الله بن المبارك انبأنا ابراهيم بن نشيط سمعت عمر مولى غفرة يقول « أبعد الناس من النفاق وأشدهم خوفا على نفسه منه الذي لا يرى أن ينجيه منه شيء، وأقرب الناس منه الذي اذا زكي بما ليس فيه ارتاح قلبه وقبله ـ قال: واذا زكيت بما ليس فيك، فقل: اللهم اغفر لي مالا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، فانك تعلم ولا يعلمون »

حدثنا احمد بن ابراهيم حدثنا عبدالرحمن بن مهدي عن سفيان عن أبي حيان التيمي عن ابراهيم التيمي قال « ماعرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذبا »

حدثنا عبد الاعلى بن حماد النرسي حدثنا حماد بن سلمة عن حميد وحبيب بن الشهيد ان الحسن قال في هذه الآية (هاؤم اقرؤا كتابيه * اني ظننت أني ملاق

---

(١) بالهمز وترك الهمز. لغتان معناهما واحد . وقد قرأ القراء بهما جميعا

حسابيه) قال « إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل . وان المنافق أساء الظن بربه فأساء العمل »

حدثنا عبد الرحيم بن حبيب الفريابي حدثنا بقية بن الوليد حدثنا سلمة بن كلثوم الكندي قال سمعت عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي يقول إن « المؤمن يقل الكلام ويكثر العمل ، وان المنافق يكثر الكلام ويقل العمل »

حدثنا ابو بكر وعثمان ابنا ابي شيبة قالا حدثنا ابو معاوية حدثنا الاعمش عن خيثمة قال: كان قومه يؤذونه، فقال « ان هؤلاء يؤذونني ، ووالله ماطلب أحد منهم حاجة الا قضيتها، ولا دخل على أحد منهم مني أذى، ولأنا أبغض فيهم من الكلب الاسود ، أتدرون مم ذلك ؟ انه والله ماحب منافق مؤمنا ابداً »

حدثنا محمد بن الحسن البلخي انبأنا عبد الله بن المبارك انبأنا سفيان الثوري قال « كان يقال : اذا عرفت نفسك لم يضرك ماقيل فيك »

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابن لهيعة عن ابي يونس — وهو سلمة بن جبير مولى ابي هريرة — عن ابي هريرة ان النبي ﷺ كان يقول « ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ، ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمنا ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل ، المتمسك منهم يومئذ على دينه كالقابض على خبط الشوك[1] أو جمر الغضى »

أخبرنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال « بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمنا ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا »

---

(١) الخبط — محركا — ورق الشوك ينفض بالمخابط

حدثنا قتيبة حدثنا اسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال « بادروا بالاعمال » فذكر مثله

حدثنا ابو مروان محمد بن عثمان حدثنا عبد العزيز بن ابي حازم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال « بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمنا ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا »

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن ابي حبيب عن سعد بن سنان عن أنس بن مالك ان رسول الله ﷺ قال « تكون بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمنا ويصبح كافراً ، يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا »

حدثنا ابراهيم بن الحجاج الشامي حدثنا عبد الوارث بن سعيد حدثنا محمد ابن جحادة حدثنا عبد الرحمن بن مروان عن هذيل بن شرحبيل عن ابي موسى الاشعري عن النبي ﷺ قال « إن بين يدي الساعة فتنا يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمنا ويصبح كافراً »

حدثنا محمد بن مصطفى الحمصي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الوليد بن سليمان عن علي بن يزيد عن القاسم عن ابي امامة عن النبي ﷺ قال « ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافراً إلا مؤمنا حشاه الله بالعلم »

حدثنا عبد الرحمن بن ابراهيم والوليد بن عتبة الدمشقيان قالا حدثنا الوليد ابن مسلم حدثنا سعيد بن عبد العزيز وعبد الغفار بن اسماعيل عن اسماعيل بن عبيد الله انه سمع أبا عبد الله الاشعري يقول سمع ابا الدرداء يقول: قال رسول الله ﷺ « ليكفرن أقوام بعد إيمانهم » فبلغ ذلك ابا الدرداء ، فأتاه فقال: بلغني أنك قلت : ليكفرن أقوام بعد إيمانهم ؟ قال « نعم ، ولست منهم »

حدثنا عثمان بن ابي شيبة حدثنا فضيل بن عياض عن الاعمش عن خيثمة

عن عبد الله بن عمرو قال « يأتي على الناس زمان يجتمعون في مساجدهم ليس فيهم مؤمن »

حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا ابي حدثنا شعبة عن سليمان عن خيثمة عن عبد الله ابن عمرو قال « ليأتين على الناس زمان يجتمعون في مساجدهم ليس فيهم مؤمن »

حدثنا محمد بن عبد الاعلى حدثنا خالد بن الحارث حدثنا شعبة عن سليمان عن خيثمة عن عبد الله بن عمرو انه قال « ليأتين على الناس زمان يجتمعون في المساجد وما فيهم مؤمن »

حدثنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عبد الله بن مسعود انه قال «إن الرجل منكم ليخرج من بيته فيلقى الرجل له اليه حاجة فيقول: ذيت وذيت، فيمدحه فعسى أن لا يحلأ[1] من حاجته بشيء ، ويرجع وقد أسخط الله عز وجل عليه، ما معه من دينه شيء »

حدثنا ابو حفص عمرو بن عثمان بن كثير بن دينار الحمصي حدثنا ابي عن جرير بن عثمان عن ابي الحسن نمران عن ابي مليكة الذماري قال « إن الرجل ليدخل على الامام فما يخرج إلا مشركا أو منافقا ، إن أعطاه نسي الذي أعطاه وحمده ، وإن منعه خرج يذمه ويعيبه ، فاذا فعل هذا بالامام فقد نافق وأشرك ، وانما يمنع ويعطي الله عز وجل »

حدثنا محمد بن مصطفى الحمصي حدثنا بقية بن الوليد عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال « إياكم والخطرات، فان الرجل قد تنافق يده من سائر جسده »

حدثنا رياح بن الفرج الدمشقي حدثنا زيد بن يحيى بن عبيد حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن ابي عبد رب عن أم الدرداء أن أبا الدرداء كان اذا رأى الميت قد مات على حال صالحة قال « هنيئا له، ليتني كذلك» فقالت له أم الدرداء : لم تقول

---

(١) حلأه درهما : أعطاه اياه . وفي نسخة (يحظى)

ذلك ؟ فقال « هل تعلمين ياحمقاء أن الرجل يصبح مؤمناً ويمسي منافقا؟ » قالت: وكيف ؟ قال « يسلب إيمانه ولا يشعر، لأنا لهذا بالموت أغبط مني لهذا بالبقاء في الصلاة والصيام »

حدثنا عبد الرحمن بن ابراهيم الدمشقي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا سعيد ابن عبد العزيز عن أبي عبد رب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال « يبلغني أن الرجل يأتيه الموت وهو على حال حسنة فأقول هنيئاً له » فقلت: ولم؟ قال: « ياحمقاء أما تعلمين أن الرجل يصبح مؤمنا » وذكر نحوه

حدثني أبو عمير بن النحاس الرملي حدثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب قال قيل للحسن: ياأبا سعيد، اليوم نفاق؟ قال « لو خرجوا من أزقة البصرة لاستوحشتم فيها »

حدثنا صفوان بن صالح حدثنا ضمرة حدثنا ابن شوذب عن الحسن قال « لاتقوم الساعة حتى يسود كل قوم منافقوها »

حدثنا صفوان بن صالح حدثنا ضمرة بن ربيعة حدثنا عبد الله بن شوذب عن الحسن قال « لايلقى المؤمن إلا ساخبا ، ولا يلقى المنافق إلا دباصا [1] »

حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير بن عبد الحميد عن الاعمش عن عبد الله ابن مرة عن مسروق عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ « أربع من كن فيه كان منافقا خالصاً: اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر ، فمن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها »

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبيد الله بن موسى أنبأنا سفيان عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ « أربع من كن فيه فهو منافق وإن كان فيه خصلة منها ففيه خصلة من نفاق: اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر »

آخر الجزء والحمد لله وحده . وهذان الحديثان الاخيران في أوائل الجزء في بعض النسخ وفي بعضها هنا. كتبه محمد بن علي الحسيني

---

(١) كذا في الاصل . وقد بحثت عنه في مظانه فلم أهتد اليه فليحرر

﴿ صورة السماعات الموجودة بآخر النسخة الخطية ﴾

« وقد كانت العناية بهذه السماعات بالغة في الاعصر الخالية ، للضبط والاتقان واعتماد النسخة عند من يتلقاها من المتأخرين »

(سمع) الجزء بكماله على الشيخ أبي غالب بن الداية بقراءة أبي الفتح بن النقور — : الفتح بن عبد الله بن عبد السلام في جمادي الآخرة سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة

(وسمعه) من أبي عبد الله محمد بن احمد الطرائفي أنبأنا ابن المسلمة بقراءة ابن النقور — : أبو الفرج الفتح بن عبد الله بن عبد السلام في ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسمائة

(وسمعه) علي إبي الفضل محمد بن عمر بن يوسف الارموي أنبأنا ابن المسلمة بقراءة ابن النقور — : الفتح بن عبد الله بن عبد السلام في جمادي الآخرة سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ،

(وسمعه) علي بقراءة ابن القواريري ابو العباس بن أبي الفتح البصري في رجب سنة ست وأربعين وخمسمائة ، (سمعه) من أبي الفرج الفتح بن عبد الله ابن عبد السلام بسماعه من شيوخه الثلاثة المذكورين أعلاه بقراءة اسحاق بن محمد المؤيد الابرقوهي — : ابنه ابو المعالي أحمد في يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة

(وسمعه) علي بقراءة احمد بن عيسى بن عبد الله — : محمد بن ابراهيم بن عبد الواحد المقدسي وابراهيم بن علي بن احمد بن فضل الواسطي في شعبان سنة ثلاث وعشرين وستمائة

(وسمعه) على ست الكتبة نعمة بنت علي بن يحيي بن الطراح بسماعها

من جدها يحيي أنبأنا ابن المسلمة، بقراءة أبي القاسم ابن عساكر علي بن احمد بن عبد الواحد بن البخاري في جمادى الاول سنة احدى وستمائة

(وسمعه) من أبي حفص عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد بسماعه من يحيي ابن الطراح وابي منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون وابي المعالي عبد الخالق ابن عبد الصمد بن البدن ، وأبي غالب احمد بن الحسن بن البناء بسماعهم من ابن المسلمة ، وباجازته إن لم يكن سماعا ، من الارموي — : بقراءة ابي الفتح محمد بن عبد الغني ، على بن احمد بن عبد الواحد

(وسمعه) على ابي الفرج بن عبد السلام عن شيوخه بقراءة عبد الرحمن محمد ابن عبد الغني — : عبد الرحمن بن احمد بن عبد الملك بن عثمان في رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة

﴿ سماع آخر ﴾

سمع هذا الجزء على أبي الفضل الارموي بقراءة احمد بن شافع سعيد بن محمد بن سعيد الرزاز في ربيع الآخر سنة ٤٧ (وسمعه) علي بقراءة عبد الوهاب ابن علي الارموي أبو نصر هبة الله بن المكرم الصوفي وابنه ابو جعفر محمد في ثالث عشر شوال سنة ٥٤٥ (وسمعه) علي بقراءة سعد الله بن الارموي — : داود بن ملاعب في رمضان سنة ٤٦ (سمعه) من الصائن احمد بن تزمش انبأنا الارموي بقراءة ابن الانماطي اسماعيل بن ابراهيم بن أبي اليسر في سنة ٥٤٦ (سمعه) على ابن منصور سعد بن محمد الرزاز أنبأنا الارموي بقراءة خالد النابلسي أبو المرهف بن المقداد بن أبي القاسم القيسي وغيره في شوال سنة ٦١٢ ببغداد (وسمعه) على التقي اسماعيل بن أبي اليسر أنبأنا ابن تزمش أنبأنا الارموي بقراءة الوجيه الشيبي حفيد المسمع — : ابن عبد الرحيم بن ابراهيم ، وعبد الغالب ابن محمد الماكشيني في صفر سنة ٦٦٩ (وسمعه) على النجيب المقداد بن هبة الله

القبس بقراءة شرف الدين الفزاري — : محمد بن أبي الفتح وابن عمه ابراهيم
ابن بركات التغلبيان وعيسى بن عبد الكريم بن مكتوم وآخرون في جمادى الآخرة
سنة ٦٦٦ (وسمعوا) على بالقراءة جزء الانصاري وما معه (وسمع عليه) هذا
الجزء بقراءة الموصلي اسماعيل الخباز وولداه زينب ومحمد في الثالثة، والآخرون
في ذي القعدة سنة ٦٦٨ (وسمعه) علي بقراءة الشرف يعقوب بن احمد الحلبي
أنبأناه محمد واحمد حضر — وداود بن ابراهيم بن داود العطار وآخرون في رمضان
سنة ٦٧٧ (وسمعه) من الشمس عبد الرحمن بن الزيني أنبأنا الفتح وأنبأنا ابن
ملاعب بقراءة الصفي الارموي — : عز الدين محمد بن الضياء الحموي وسليمان بن
محمد بن عبد الكافي ، ومحمد بن احمد بن عمر البالسي وآخرون في ربيع الآخر
سنة ٦٨٩ (وسمعه) علي بقراءة الحافظ جمال الدين يوسف المزي — : ابنه
عبد الرحمن حضر ، واحمد بن الصلاح محمد بن احمد بن البعلي في رجب
سنة ٦٨٩ (وسمعه) علي وعلي ابن الواسطي بسماعهما من الفتح بقراءة الشمس
عبيد الله بن محمد ، زينب بنت الخباز وأبوها في رمضان سنة ٦٥ (وسمعه) على
بدر الدين خضر بن عمر الموصلي أنبأنا ابن ملاعب بقراءة ابن الخباز — : ابنته
زينب وأخوها (وسمعه) على الابرقوهي بقراءة الشرف بن الصابوني على بن
الصلاح محمد بن علي بن الشهرزوري . وعلي بن النجار بن عثمان ـ محمد في الثالثة
وحسن بن محمد بن البعلي الحنبلي وابن عمه عز الدين محمد بن احمد وابراهيم بن
محمد بن ابراهيم الجزري في الرابعة — وأخواه اسماعيل وعبد الله وعلي وعبد العزيز
ابن الدقاق في شوال سنة ٦٦٤ أنبأنا احمد بن عثمان بن اسلقوس وشمس بن محمد
ابن علي بن عبد الرحمن المقدسي وزاهدة وزينب ابنتا الحسن محمد بن المنجا وآخرون
في جمادي الاولى سنة ٧٠١ (وسمعه) منه بقراءة النجم محمد بن عبد الحميد ـ : محمد
ابن محمد بن حسن بن نباته في ربيع الاول سنة ٦٩١ بمصر (وسمعه) منه عز الدين

علي بن هلال وابنه عبد الله وفتاه سنجر الجزري . والكمال احمد بن العماد الشيرازي وابن أخته عماد الدين محمد بن احمد ونجم الدين محمد بن التاج بن الزجاجية ، وأبو بكر بن اسماعيل بن عبد العزيز في جمادى الاولى سنة ٦٩٩ (وسمعه) على شيخنا الحافظ شمس بن محمد بن احمد الذهبي بقراءته في رجب سنة ٦٩٥ بمصر . نقله محمد الحسيني من أصول وفروع

﴿ سماع آخر ﴾

سمع جميع هذا الجزء — وفيه صفة المنافق للفريابي — على المشايخ السبعة الاجلاء المسندين السادة والاخيار الفضلاء : شمس الدين أبي الحسن محمد بن محمد ابن محمد بن الحسن بن نباته القرشي المصري الشافعي . وجمال الدين أبي سليمان داود بن ابراهيم بن داود بن العطار الدمشقي ، وتقي الدين أبي العباس احمد بن محمد بن احمد بن بدر بن تبع الشافعي ، وتاج الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن أبي اليسر التنوخي . وعز الدين أبي الفضل محمد بن اسماعيل بن عمر بن الحموي ، وشمس الدين أبي عبد الله محمد بن اسماعيل ابن ابراهيم بن الخباز الانصاري ، وفتح الدين أبي الفتح احمد بن محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلبكي الحنبلي

بسماع ابن نباته من أبي المعالي أحمد بن اسحاق الابرقوهي . وبسماع ابن الحموي وابن تبع من عبد الرحمن بن الزين . وبسماع ابن أبي اليسر من جده أبي محمد اسماعيل بن ابراهيم بن أبي اليسر . وبسماع ابن أبي الفتح من الامام تقي الدين ابراهيم بن علي بن الواسطي ، وبسماع ابن العطار وابن الخباز من المقداد بن أبي القاسم القيسي ، وبسماع ابن الخباز أيضاً — وهو حاضر — من أبي بكر محمد ابن اسماعيل بن الانماطي وأبي البدر الخضر بن عمر بن بدر الموصلي ، بسماع الابرقوهي وابن الزين وابن الواسطي من أبي الفرج الفتح بن عبد الله بن محمد

ابن علي بن هبة الله بن عبد السلام الكاتب ، وبسماع الموصلي وابن الانماطي وابن الواسطي ايضاً من داود بن احمد بن ملاعب

وباجازة زين الدين سنه ان لم يكن سماعا ، وبسماع ابن أبي اليسر بن أبي القاسم أحمد بن تزمش الاشتري ، وبسماع المقداد من أبي منصور سعيد بن محمد الرزاز ، بسماع ابن تزمش وابن ملاعب والرزاز والفتح من القاضي أبي الفضل محمد بن عمر بن يوسف الارموي ، وبسماع الفتح ايضا من أبي غالب محمد بن علي بن الداية وأبي عبدالله محمد بن احمد بن أبي الفتح الطرائفي ، بسماعهم ثلاثتهم من أبي جعفر محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن عمر بن المسلمة المعدل بسنده

أوله بقراءة الشيخ الامام العالم الفاضل أبي جعفر احمد بن يوسف بن ملك الرعيني الغرناطي رفيقه الشيخ الامام العالم البارع الاديب الكامل ابو عبد الله محمد بن احمد بن علي عرف بابن جابر الاندلسي الهواري الضرير . وصاحب هذه النسخة الشيخ المحدث الصالح الخير شهاب الدين ابو العباس أحمد بن علي بن الخصيب النشار الدمشقي ، والجماعة السادة الاجلاء الفضلاء الشيخ الامام نظام الدين ابو الفضائل يحيي بن نور الدين عبد الرحمن بن عمر بن علي بن محمود الجعفري الطياري ، وابنه صائن الدين نصر الله وشاكروه رمضان بن فلاح بن عمر النهرملكي والامام العالم المحدث محيي الدين ابو حامد محمد بن عبد القاهر بن عبد الرحمن بن الحسن بن الشهرزوري الموصلي وابنته أم الخير شرف . والمحدث عز الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد العزز بن المؤذن البغدادي والشيخ يحيي بن أبي بكر بن عبد القوي البوني والشيخ الصالح ابو اسحاق ابراهيم بن عبد المجيد بن منصور الواسطي بواب المدرسة الرواحية والشيخ محمد بن يوسف بن محيي المكي القحطاني والشيخ خليل بن محمد بن

احمد المؤذن بالربوة وحسين بن علي بن أسـد العجمي والفقيه عبد الرحمن بن النبيه بن جمال الاسكندري الشافعي والشيخ عمر بن حسنون بن نصر المغربي واحمد بن سعيد بن عمر بن حسن السيواسي الصوفي الشافعي عفا الله عنه وغفر له وهذا خطه وأخوه يحيي جبره الله تعالى

وصح ذلك وثبت في يوم الخميس تاسع عشر من محرم الحرام سنة ٧٤٣ﻫ بالمدرسة الرواحية داخل دمشق المحروسة . وأجاز كل واحد من المشايخ السبع لكل واحد من السامعين جميع مايرويه . والحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

﴿سماع آخر﴾

سمع موافقات هذا الجزء – دون الحديث البدل – وعدتها عشرة أحاديث، على الشيخ الصالح المسند المعمر الرحلة بدر الدين أبي معاوية الحسن بن العماد محمد بن اسماعيل بن منصور التاجر المعروف بابن الطحان الضرير الدمشقي بسماعه منه نقلا من أبي البدر الخضر بن عمر بن بدر بن سعيد الموصلي، بسماعه من داود بن ملاعب ، بسماعه من الارموي، بقراءة السيد الشريف العالم الفاضل شمس الدين أبي المحاسن محمد بن علي بن الحسن حمزة بن أبي المحاسن الحسيني — :صاحب النسخة الشيخ الجليل الصالح الخير شهاب الدين أحمد بن علي بن الخصيب النشار الدمشقي والمحدث أبو الفوارس حمزة بن عمر بن أحمد الهكاري الحنبلي وأحمد ابن سعيد بن عمر بن حسن السيواسى الصوفي الشافعي عفا الله عنه وغفر له . وهذا خطه . وريحان بن عبد الله الحبشى فتى ابن المسمع

وصح ذلك وثبت في يوم السبت ١٩ شهر ربيع الآخر سنة ٧٤٤ ببستان المسمع من أرض جسرين من غوطة دمشق المحروسة . وأجاز الشيخ للمذكورين جميع مايرويه والحمد لله وحده وصلي الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

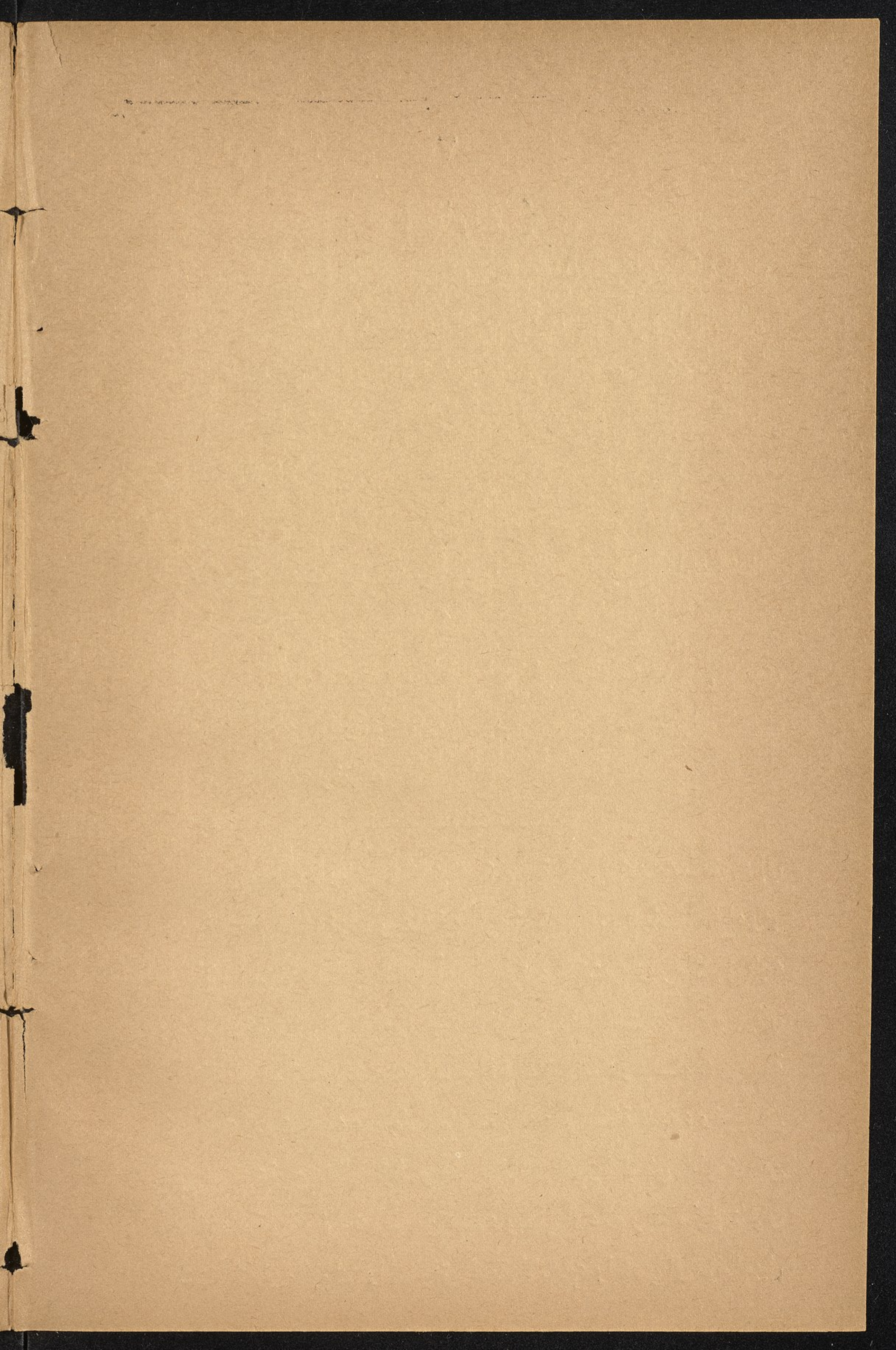
﴿ سماع آخر ﴾

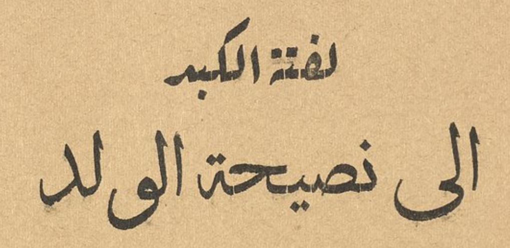
ثم سمعت بالقراءة الاحاديث المذكورة ـ مع البدل ـ على الشيخ الجليل الصدر الكبير الرئيس عز الدين أبي محمد عبدالعزيز بن أحمد بن عثمان بن أبي الرجاء بن البلعوس التنوخي بسماعه من الابرقوهي بسماعه من الفتح عن مشايخه الثلاثة

(وسمعه) الشيخ الامام العالم الفاضل شهاب الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم ابن صاروا الشافعي البعلبكي ، وشيخنا برهان الدين ابراهيم بن كمال الدين محمد ابن أبي الفتح بن النحاس الانصاري وأخوه شمس الدين محمد . وصاحب النسخة الشيخ المحدث شهاب الدين أحمد بن علي بن الخصيب النشار ، وشهاب الدين أحمد بن علي بن عيسى الكركي

وصح ذلك وثبت في يوم الجمعة ٤ ذي الحجة سنة ٧٤٥ بالجامع الاموي وأجاز لنا مايرويه . قاله وكتبه أحمد بن سعيد ين عمر بن حسن السيواسي الصوفي الشافعي عفا الله عنه وغفر له

يقول مصححها وناشرها خادم السنة النبوية المطهرة محمد حامد الفقي : إني حين وقفت على هذا الجزء ، وجدت فيه أثراً نفيسا من آثار السلف الصالح ، وهو مع هذا مناسب كل المناسبة لما عليه أهل عصرنا ، شغفت به وحرصت على طبعه ونشره ، وبحثت على نسخة أخرى جهدي فلم أوفق ، فلما حانت الفرصة بوجودي في أعظم مطبعة اسلامية ، وقف صاحبها ـ أستاذنا العلامة السيد رشيد ـ نفسه على خدمة الاسلام ، بادرت بطبعه ، رجاء تعميم النفع به ، والنسخة قديمة ، وخطها على القواعد القديمة من اهمال النقط وبعض العلامات المميزة لبعض الحروف عن أخواتها ، فكان في قراءته كثير من العناء ، وبعض الاعلام رسمناه كما فهمنا وان كنت أظنه غير مافهمت ، والله الموفق لخدمة الاسلام ، والهادي الى سواء السبيل





للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧

نصح بها ولده محمد المكنى أبا القاسم

المولود سنة ٥٨٠ المتوفى مقتولا في وقعة التتار ببغداد سنة ٦٥٦

وقف على طبعه وعني بنشره خادم السنة النبوية

محمد حامد الفقي

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر

الطبعة الاولى في مطبعة المنار بمصر

١٣٤٩ هـ

١٩٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وبه نستعين ﴾

الحمد لله الذي أنشأ الاب الاكبر من تراب ، وأخرج ذريته من الترائب والاصلاب، وعضد العشائر بالقرابة والانساب، وأنعم عليَّ بالعلم وعرفان الصواب وأحسن تربيتي في الصبى وحفظني في الشباب، ورزقني ذرية أرجو بوجودهم وفور الثواب (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ، ربنا اغفر لي ولوالديَّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب)

أما بعد: فاني لما عرفت شرف النكاح وطلب الاولاد ختمت ختمة وسألت الله تعالى أن يرزقني عشرة أولاد ، فرزقنيهم، فكانوا خمسة ذكور وخمس أناث فمات من الاناث اثنتان ومن الذكور أربعة، فلم يبق من الذكور سوى ولدي أبي القاسم فسألت الله تعالى أن يجعل فيه الخلف الصالح ، وأن يبلغ به المنى والمناجح، ثم رأيت منه نوع توان عن الجد في طلب العلم فكتبت له هذه الرسالة أحثه بها وأحركه على سلوك طريقي في كسب العلم ، وأدله على الالتجاء إلى الموفق سبحانه وتعالى مع علمي بانه لاخاذل لمن وفق ، ولا مرشد لمن أضل ، لكن قد قال تعالى (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) وقال (فذكر إن نفعت الذكرى) ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فصل

اعلم يابني وفقك الله للصواب أنه لم يتميز الآدمي بالعقل إلا ليعمل بمقتضاه ، فاستحضر عقلك ، وأعمل فكرك، واخل بنفسك، تعلم بالدليل أنك مخلوق مكلف، وأن عليك فرائض أنت مطالب بها ، وأن الملكين يحصيان ألفاظك ونظراتك ،

وأن أنفاس الحي خطاه الى أجله، ومقدار اللبث في الدنيا قليل، والحبس في القبور طويل، والعـذاب على موافقة الهوى وبيل، فأين لذة أمس؟ رحلت وأبقت ندما، وأين شهوة النفس؟ كم نكست رأسا، وازلت قدما، وما سعد من سعد إلا بخلاف هواه، ولا شقي من شقي إلا بايثار دنياه، فاعتبر بمن مضى من الملوك والزهاد، أين لذة هؤلاء وأين تعب أولئك؟ بقي الثواب الجزيل والذكر الجميل للصالحين، والقالة القبيحة والعقاب الوبيل للعاصين، وكأنه ماجاع من جاع ولا شبع من شبع، والكسل عن الفضـائل بئس الرفيق، وحب الراحة يورث من الندم مايربي على كل لذة، فانتبه واتعب لنفسك. واعلم أن أداء الفرائض واجتناب المحارم لازم، فمتى تعدى الانسان فالنار النار

ثم اعلم أن طلب الفضائل نهاية مراد المجتهدين، ثم الفضائل تتفاوت، فمن الناس من يرى الفضائل الزهد في الدنيا، ومنهم من يراها التشاغل بالتعبد، وعلى الحقيقة فليست الفضائل الكاملة إلا الجمع بين العلم والعمل، فاذا حصلا رفعا صاحبهما إلى تحقيق معرفة الخالق سبحانه وتعالى، وحركاه إلى محبته وخشيته والشوق اليه، فتلك الغاية المقصودة، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم، وليس كل مريد مراداً، ولا كل طالب واجداً، ولكن على العبد الاجتهاد، وكل ميسر لما خلق له والله المستعان

فصل

وأول ماينبغي النظر فيه: معرفة الله تعالى بالدليل، ومعلوم أن من رأى السماء مرفوعة، والارض موضوعة، وشاهد الابنية المحكمة خصوصا في جسد نفسه، علم أنه لابد للصنعة من صانع، وللمبني من بان

ثم يتأمل دليل صدق الرسول صلى الله عليه وسلم اليه وأكبر الدلائل القرآن الذي أعجز الخلق أن يأتوا بسورة من مثله، فاذا ثبت عنده وجود الخالق جل وعلا

وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجب تسليم عنانه إلى الشرع ، فمتى لم يفعل دل على خلل في اعتقاده

ثم يجب عليه أن يعرف ما يجب عليه من الوضوء والصلاة والزكاة - إن كان له مال - والحج وغير ذلك من الواجبات. فاذا عرف قدر الواجب قام به . فينبغي لذي الهمة أن يترقى الى الفضائل ، فيتشاغل بحفظ القرآن وتفسيره وبحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبمعرفة سيره وسير اصحابه والعلماء بعدهم . ليتخير مرتبة الأعلى فالأعلى ولا بد من معرفة ما يقيم به لسانه من النحو ومعرفة طرف مستعمل من اللغة .

والفقه أصل العلوم ، والتذكير حلواؤها وأعمها نفعا ، وقد رتبت في هذه المذكورات من التصانيف ما يغني عن كل ما سبق من تصانيف القدماء وغيرها بحمد الله ومنه . فأغنيتك عن تطلب الكتب وجمع الهمم للتصنيف ، وما تقف همة الا لخساستها ، وإلا فمتى علت الهمة فلا تقنع بالدون .

وقد عرفت بالدليل أن الهمة مولودة مع الآدمي وانما تقصر بعض الهمم في بعض الاوقات فاذا حثت سارت . ومتى رأيت في نفسك عجزاً فسل المنعم ، أو كسلا فالجأ الى الموفق ، فلن تنال خيراً إلا بطاعته ، ولا يفوتك خير إلا بمعصيته فمن الذي أقبل عليه فلم ير كل مراد ؟ ومن الذي أعرض عنه فمضى بفائدة ؟ أو حظى بغرض من أغراضه ؟ أو ما سمعت قول الشاعر :

والله ما جئتكم زائراً إلا وجدت الارض تطوى لي
ولا ثنيت العزم عن بابكم إلا تعثرت بأذيالي

فصل

وانظر يا بني إلى نفسك عند الحدود ، فتلمح كيف حفظك لها ، فانه من راعى روعي ، ومن أهمل ترك . وإني لأذكر لك بعض أحوالي املك تنظر إلى اجتهادي وتسأل الموفق لي ، فان أكثر الانعام عليّ لم يكن بكسبي ، وانما هو من تدبير

اللطيف بي ، فاني أذكر نفسي ولي همة عالية وأنا في المكتب ابن ست سنين وأنا قرين الصبيان الكبار، قد رزقت عقلا وافراً في الصغر يزيد على عقل الشيوخ ، فما أذكر أني لعبت في طريق مع الصبيان قط ، ولا ضحكت ضحكا خارجا ، حتى اني كنت ولي سبع سنين أو نحوها أحضر رحبة الجامع ، فلا أتخير حلقة مشعبذ ، بل أطلب المحدث ، فيتحدث بالسير فأحفظ جميع ماأسمعه وأذهب إلى البيت فأكتبه . ولقد وفق لي شيخنا أبو الفضل ابن ناصر رحمه الله ، وكان يحملني الى الشيوخ فأسمعني المسند وغيره من الكتب الكبار ، وأنا لا أعلم مايراد مني ، وضبط لي مسموعاتي الى أن بلغت ، فناولني ثبتها ولازمته الى أن توفي رحمه الله، فنلت به معرفة الحديث والنقل . ولقد كان الصبيان ينزلون الى دجلة ويتفرجون على الجسر وأنا في زمن الصغر آخذ جزءاً وأقعد حجزة من الناس الى جانب الرقة فأتشاغل بالعلم

ثم ألهمت الزهد فسردت الصوم وتشاغلت بالتقلل من الطعام وألزمت نفسى الصبر فاستمرت،وشمرت ولازمت وعالجت السهر، ولم أقنع بفن من العلوم ، بل كنت أسمع الفقه والوعظ والحديث وأتبع الزهاد ثم قرأت اللغة ولم أترك أحداً ممن يروي ويعظ ولا غريبا يقدم إلا وأحضره ،وأتخير الفضائل ، وكنت اذا عرض لي أمران أقدم في أغلب الاحوال حق الحق .

فأحسن تدبيري وتربيتي، وأجراني على ماهو الاصلح لي ودفع عني الاعداء والحساد ومن يكيدني ، وهيأ لي أسباب العلم ، وبعث الي الكتب من حيث لا أحتسب . ورزقني الفهم وسرعة الحفظ والخط وجودة التصنيف ولم يعوزني شيئا من الدنيا ، بل ساق إلي من الرزق مقدار الكفاية وأزيد ، ووضع لي من القبول في قلوب الخلق فوق الحد ، وأوقع كلامي في نفوسهم فلا يرتابون بصحته، وقد أسلم على يدي نحو من مائتين من أهل الذمة. ولقد تاب في مجالسي أكثر من مائة

ألف ، وقد قطعت اكثر من عشرين ألف سالف مما يتعاناه الجهال

ولقد كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث فينقطع نفسي من العدو لئلا أسبق ، وكنت اصبح وليس لي مأكل ، وأمسي وليس لي مأكل ، ماأذلني الله لمخلوق قط . ولكنه ساق رزقي لصيانة عرضي . ولو شرحت احوالي لطال الشرح ، وها أنا قد ترى ما آلت حالي اليه وأنا اجمعه لك في كلمة واحدة وهي قوله تعالى (واتقوا الله ويعلمكم الله)

فصل

فانتبه يابني لنفسك ، واندم على مامضى من تفريطك ، واجتهد في لحاق الكاملين مادام في الوقت سعة . واسق غصنك ، مادامت فيه رطوبة ، واذكر ساعتك التي ضاعت فكفى بها عظة ، ذهبت لذة الكسل فيها وفاتت مراتب الفضائل . وقد كان السلف الصالح رحمهم الله يحبون جمع كل فضيلة ويبكون على فوات واحدة منها . قال ابراهيم بن أدهم رحمه الله : دخلنا على عابد مريض ، وهو ينظر الى رجليه ويبكي ، فقلنا : مالك تبكي ؟ فقال : ماغبرتا في سبيل الله . وبكى آخر ، فقالوا : مايبكيك ؟ فقال : عليَّ يوم مضى ماصمته وعليَّ ليلة ذهبت ماقمتها

واعلم يابني ان الايام تبسط ساعات ، والساعات تبسط انفاسا ، وكل نفس خزانة ، فاحذر ان يذهب نفس بغير شيء ، فترى في القيامة خزانة فارغة فتندم ، وقد قال رجل لعامر بن عبد قيس : قف أكلمك ؟ فقال امسك الشمس . وقعد قوم عند معروف رحمه الله فقال : أما تريدون أن تقوموا ، فان ملك الشمس يجرها لا يفتر ؟ وفي الحديث « من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له بها نخلة في الجنة » فانظر الى مضيع الساعات كم يفوته من النخيل

وقد كان السلف يغتنمون اللحظات ، فكان كهمس رحمه الله يختم القرآن كل

يوم وليلة ثلاث مرات ، وكان أربعون رجلا من السلف يصلون الصبح بوضوء العشاء ، وكانت رابعة العدوية تحيي الليل كله ، فاذا طلع الفجر هجعت هجعة خفيفة ثم قامت فزعة وقالت لنفسها : النوم في القبر طويل

فصل

ومن تفكر في الدنيا قبل أن يوجد رأى مدة طويلة ، فاذا تفكر فيها بعد أن يخرج منها رأى مدة طويلة ، وعلم أن اللبث في القبور طويل ، فاذا تفكر في يوم القيامة علم انه خمسون ألف سنة ، فاذا تفكر في اللبث في الجنة أو النار علم انه لا نهاية له ، فاذا عاد الى النظر في مقدار بقائه في الدنيا فرضنا ستين سنة مثلا فانه يمضي منها ثلاثون سنة في النوم ، ونحو من خمس عشرة في الصبى ، فاذا حسب الباقي كان أكثره في الشهوات والمطاعم والمكاسب ، فاذا خلص ما للآخرة وجد فيه من الرياء والغفلة كثيرا ، فبماذا تشتري الحياة الابدية وانما الثمن هذه الساعات ؟

فصل

ولا يؤيسك يابني من الخير مامضى من التفريط ، فانه قد انتبه خلق كثير بعد الرقاد الطويل فقد حدثني الشيخ أبو حكيم عن قاضي القضاة الشيخ أبي الحسن الدامغاني رحمه الله ، قال : كنت في صبوتي متشاغلا بالبطالة غير ملتفت الى العلم ، فأحضرني أبي أبو عبد الله رحمه الله تعالى وقال لي : يا بني ، لست أبقى لك أبداً ، فخذ عشرين ديناراً وافتح لك دكان خباز وتكسب ، فقلت له : ماهذا الكلام ؟ قال : فافتح دكان بزاز . فقلت : كيف تقول لي هذا وأنا ابن قاضي القضاة عبد الله الدامغاني ؟ قال : فما أراك تطلب العلم ، فقلت : اذكر لي الدرس الساعة ، فذكر لي ، فأقبلت على التشاغل بالعلم . فعند ذلك أقبلت على الاشتغال بالعلم ، واجتهدت ففتح الله تعالى وحكي لي بعض أصحاب أبي محمد الحلواني رحمه الله قال : مات أبي وأنا ابن

إحدى وعشرين سنة، وكنت موصوفا بالبطالة فأتيت أتقاضى بعض سكان دار قد ورثتها فسمعتهم يقولون: جاء المدبر. أي الربيط ـ فقلت لنفسي يقال عني هذا؟ فجئت الى والدتي فقلت: اذا أردت طلبي فاطلبيني من مسجد الشيخ أبي الخطاب. ولازمته فما خرجت إلا الى القضاء، فصرت قاضيا مدة (قلت) ورأيته أنا وهو يفتي ويناظر

فالزم نفسك يا بني الانتباه عند طلوع الفجر ولا تتحدث بحديث الدنيا، فقد كان السلف الصالح رحمهم الله لا يتكلمون في ذلك الوقت بشيء من أمور الدنيا، وقل عند انتباهك من النوم «الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني واليه النشور، الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الارض إلا باذنه ان الله بالناس لرؤوف رحيم» ثم قم الى الطهارة واركع سنة الفجر، واخرج الى المسجد خاشعاً وقل في طريقك «اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا، اني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة، خرجت اتقاء سخطك، وابتغاء مرضاتك اسألك أن تجيرني من النار وان تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب إلا انت»

واقصد الصلاة الى يمين الامام فاذا فرغت من الصلاة فقل «لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير» عشر مرات ـ ثم سبح عشراً واحمد عشراً وكبر عشراً واقرأ آية الكرسي، واسأل الله سبحانه قبول الصلاة، فان صح لك فاجلس ذاكراً الله تعالى الى ان تطلع الشمس وترتفع، ثم صل وتركع ما كتب لك، وان كان ثمان ركعات فهو حسن

فصل

فاذا أعدت درسك الى وقت الضحى الأعلى فصل الضحى ثمان ركعات ثم تشاغل بمطالعة أو نسخ الى وقت العصر، ثم عد الى درسك من بعد العصر الى وقت المغرب وصل بعد المغرب ركعتين بجزءين، فاذا صليت العشاء فعد على دروسك ثم اضطجع على شقك الايمن، فسبح ثلاثا وثلاثين واحمد ثلاثا وثلاثين

وكبر أربعاً وثلاثين وقل «اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك» واذا فتحت عينيك من النوم فاعلم ان النفس قد أخذت حظها فقم الى الوضوء وصل في ظلام الليل ما أمكن واستفتح بركعتين خفيفتين ثم بعدهما ركعتين بجزءين من القرآن، ثم تعود الى درس العلم فان العلم أفضل من كل نافلة

فصل

وعليك بالعزلة فهي أصل كل خير، واحذر من جليس السوء، وليكن جلساؤك الكتب والنظر في سير السلف، ولا تشتغل بعلم حتى تحكم ما قبله، وتلمح سير الكاملين في العلم والعمل، ولا تقنع بالدون فقد قال الشاعر:

ولم أر في عيوب الناس شيئا كنقص القادرين على التمام

واعلم ان العلم يرفع الاراذل فقد كان خلق كثير من العلماء لا نسب لهم يذكر ولا صورة تستحسن. وكان عطاء بن أبي رباح أسود اللون مستوحش الخلقة، وجاء اليه سليمان بن عبد الملك - وهو خليفة، ومعه ولداه - فجلسوا يسألونه عن المناسك، فحدثهم وهو معرض عنهم بوجهه، فقال الخليفة لولديه: قوما ولا تنيا ولا تكاسلا في طلب العلم، فما أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الاسود. وكان الحسن مولى أي مملوكا — وابن سيرين ومكحول وخلق كثير. وانما شرفوا بالعلم والتقوى

فصل

واجتهد يابني في صيانة عرضك من التعرض لطلب الدنيا والذل لاهلها، واقنع تعز. فقد قيل: من قنع بالخبز والبقل لم يستعبده أحد، ومر اعرابي على البصرة فقال: من سيد هذه البلدة؟ قيل له: الحسن البصري، قال: وبم سادهم؟ قالوا: لانه استغنى عن دنياهم وافتقروا إلى علمه

واعلم يابني ان أبي كان موسراً وخلف ألوفا من المال، فلما بلغت دفعوا لي

عشرين ديناراً ودارين وقالوا لي هذه التركة كلها، فأخذت الدنانير واشتريت بها كتبا من كتب العلم وبعت الدارين وأنفقت ثمنها في طلب العلم ولم يبق لي شيء من المال وما ذل أبوك في طلب العلم قط ولا خرج يطوف في البلدان كغيره من الوعاظ. ولا بعث رقعة إلى أحد يطلب منه شيئا قط. وأموره تجري على السداد (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب)

فصل

يابني: ومتى صحت التقوى رأيت كل خير، والمتقي لايرائي الخلق ولايتعرض لما يؤذي دينه، ومن حفظ حدود الله حفظه الله. قال رسول الله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك»

واعلم يابني ان يونس عليه السلام لما كانت ذخيرته خيرا نجا بها من الشدة. قال الله عز وجل (فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون) وأما فرعون فلما لم تكن له ذخيرة خير لم يجد في شدته مخلصا فقيل له (آلآن وقد عصيت قبل) فاجعل لك ذخائر خير من تقوى تجد تأثيرها

وقد جاء في الحديث «ما من شاب اتقى الله في شبابه إلا رفعه الله في كبره» قال الله تعالى (ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين) وقال (انه من يتق ويصبر فان الله لايضيع أجر المحسنين)

واعلم ان أوفى الذخائر، غض الطرف عن محرم، وامساك اللسان عن فضول كلمة، ومراعاة لحد، وايثار الله سبحانه وتعالى على هوى النفس، وقد عرفت حديث الثلاثة الذين دخلوا الى غار فانطبقت عليهم صخرة فقال أحدهم «اللهم انه كان لي أبوان وأولاد فكنت أقف بالحليب على أبوي أسقيهما قبل أولادي، فان كنت فعلت ذلك لاجلك فافرج عنا، فانفرج ثلث الصخرة. وقال الآخر: اللهم اني

استأجرت أجيراً فتسخط أجره فاتجرت به ، فجاء يوما فقال: ألا تخاف الله وتعطيني أجري ؟ فقلت انطلق الى تلك البقر ورعاتها فخذها ، فان كنت فعلت ذلك لاجلك فافرج عنا ، فانفرج ثلثا الصخرة . فقال الآخر : اللهم اني علقت بنت عم لي فلما دنوت منها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت عنها . فان كنت فعلت ذلك لاجلك فافرج عنا ، فرفعت الصخرة وخرجوا »

ورؤى سفيان الثوري رحمة الله عليه في المنام ، فقيل له: مافعل الله بك ؟ قال : ما كان إلا أن وضعت في اللحد فاذا أنا بين يدي رب العالمين ، فدخلت فاذا أنا بقائل يقول : سفيان ؟ قلت: سفيان . قال : تذكر يوما آثرت الله على هواك ؟ قلت نعم ، فأخذتني صواني النثار من الجنة

فصل

وينبغي أن تسمو همتك الى الكمال ، فان خلقا وقفوا مع الزهد ، وخلقا تشاغلوا بالعلم ، وندر أقوام جمعوا بين العلم الكامل والعمل الكامل .

واعلم اني قد تصفحت التابعين ومن بعدهم فما رأيت احظى بالكمال من اربعة أنفس :سعيد بن المسيب، والحسن البصري، وسفيان الثوري ، واحمد بن حنبل رضى الله عنهم ، وقد كانوا رجالا. وانما كانت لهم همم ضعفت عندنا وقد كان في السلف خلق كثير لهم همم عالية ، فاذا اردت ان تنظر الى احوالهم فانظر في (كتاب صفة الصفوة) وان شئت تأمل اخبار سعيد والحسن وسفيان واحمد رضي الله عنهما فقد جمعت لكل واحد منهما كتابا[١]

---

(١) قد طبع السيد امين الخانجى كتاب مناقب الامام احمد هذا

فصل

وقد علمت يابني اني قد صنفت مائة كتاب، فمنها التفسير الكبير عشرون مجلداً ،والتاريخ عشرون مجلدا، وتهذيب المسند عشرون مجلدا وباقي الكتب بين كبار وصغار يكون خمس مجلدات . ومجلدين وثلاثة واربعة واقل واكثر، كفيتك بهذه التصانيف عن استعارة الكتب وجمع الهمم في التأليف . فعليك بالحفظ وانما الحفظ رأس المال والتصرف ربح ,واصدق في الحالين في الالتجاء الى الحق سبحانه فراع حدوده .قال الله تعالى (ان تنصروا الله ينصركم) (فاذكروني اذكركم) (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم)

فصل

وإياك أن تقف مع صورة العلم دون العمل به ، فان الداخلين على الأمراء والمقبلين على اهل الدنيا قد اعرضوا عن العمل بالعلم فمنعوا البركة والنفع به

فصل

واياك أن تتشاغل بالتعبد من غير علم فان خلقا كثيراً من المتزهدين والمتصوفة ضلوا طريق الهدى إذ عملوا بغير علم

واستر نفسك بثوبين جميلين لا يشهرانك بين اهل الدنيا برفعتهما ، ولا بين المتزهدين بضعتهما ، وحاسب نفسك عند كل نظرة وكلمة وخطرة فانك مسئول عن ذلك، وعلى قدر انتفاعك بالعلم ينتفع السامعون ، ومتى لم يعمل الواعظ بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل الماء عن الحجر

فلا تعظن الا بنية ولا تمشين إلا بنية ،ولا تأكلن لقمة إلا بنية ، ومع مطالعة اخلاق السلف ينكشف لك الأمر

فصل

وعليك بكتاب منهاج المريدين فانه يعلمك السلوك، فاجعله جليسك ومعلمك وتلمح كتاب صيد الخاطر (١) فانك تقع بواقعات تصلح لك أمر دينك ودنياك، وتحفظ كتاب جنة النظر، فانه يكفي في تلقيح فهمك للفقه. ومتى تشاغلت بكتاب الحدائق اطلعك على جمهور الحديث، وإذا التفت الى كتاب الكشف ابان لك مستور مافي الصحيحين من الحديث. ولا تتشاغلن بكتب التفاسير التي صنفتها الاعاجم، وما ترك المغني وزاد المسير لك حاجة في شيء من التفسير. وأما ماجمعته لك من كتب الوعظ فلا حاجة لك بعدها الى زيادة اصلا

فصل

وكن حسن المداراة للخلق مع شدة الاعتزال عنهم فان العزلة راحة من خلطاء السوء ومبقية للوقار. فان الواعظ — خاصة — ينبغي له ان لا يرى متبذلا ولا ماشيا في السوق ولا ضاحكا، ليحسن به الظن فينتفع بوعظه، فاذا اضطررت الى مخالطة الناس فخالطهم بالحلم عنهم، فانك ان كشفت عن اخلاقهم لم تقدر على مداراتهم

فصل

وأد الى كل ذي حق حقه، من زوجة وولد وقرابة. وانظر كل ساعة من ساعاتك بماذا تذهب، فلا تودعها إلا أشرف مايمكن، ولا تهمل نفسك، وعودها أشرف مايكون من العمل وأحسنه، وابعث الى صندوق القبر ما يسرك يوم الوصول اليه كما قيل :

---

١) طبعه السيد أمين الخانجي ويباع بمكتبته بشارع عبدالعزيز بمصر

يامن بدنياه اشتغل　　وغره طول الامل
الموت يأتي بغتـة　　والقبر صندوق العمل

وراع عواقب الامور يهن عليك الصبر عن كل ماتشتهي وما تكره ، وإن وجدت من نفسك غفلة فاحملها الى المقابر وذكرها قرب الرحيل ، ودبر أمرك والله المدبر ـ في انفاقك من غير تبذير، لئلا تحتاج الى الناس، فان حفظ المال من الدين، ولأن تخلف لورثتك خير من أن تحتاج الى الناس .

فصل

يابني واعلم اننا من أولاد أبي بكر الصديق رضي الله عنه،وأبونا القاسم محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنه. وأخباره موثقة في كتاب صفة الصفوة .ثم تشاغل سلفنا بالتجارة والبيع والشراء ، فما كان في المتأخرين من رزق همة في طلب العلم غيري ، وقد آل الامر اليك فاجتهد أن لا تخيب ظني فيما رجوته فيك ولك،وقد أسلمتك الى الله سبحانه وتعالى وإياه أسأل أن يوفقك للعلم والعمل

وهذا قدر اجتهادي في وصيتي، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والحمد لله مزيد الحامدين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

جاء في آخر النسخة الخطية التى نقلنا عنها الموجودة بدار الكتب المصرية تحت نمرة ١٢٥ مجاميع مانصه:

آخر كتاب (لفتة الكبد الى نصيحة الولد) والحمد لله رب العالمين
وصلوات الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الاكرمين
كتب في يوم الاثنين ثالث عشر شعبان المعظم سنة ثلاث وسبعمائة
وقوبلت بنسخة أخرى موجودة بدار الكتب تحت نمرة ١٢٣ مجاميع م
وذلك في يوم الاربعاء ٢٣ من رمضان سنة ١٣٤٩ بمعرفة عثمان خليل



من قول النبي صلى الله عليه وسلم

« بعثت بالسيف بين يدى الساعة »

للامام المحقق زين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي

رحمه الله ورضي عنه

وقف على طبعه وعني بنشره خادم السنة النبوية

محمد حامد الفقي

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر

الطبعة الاولى في مطبعة المنار بمصر

١٣٤٩ هـ

١٩٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل الله فلا هادي له ، وأشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيراً ، فهدى به من الضلالة ، وبصر به من العمى ، وأرشد به من الغي ، وفتح به أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

﴿ أخرج الامام احمد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال « بعثت بالسيف بين يدي الساعة ، حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم » ﴾

فقوله ﷺ « بعثت بالسيف » يعني ان الله بعثه داعيا الى توحيده بالسيف بعد دعائه بالحجة ، فمن لم يستجب الى التوحيد بالقرآن والحجة والبيان دعي بالسيف قال الله تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز)

وفي الكتب السالفة : وصف النبي ﷺ بانه يبعث بقضيب الادب ، وهو السيف . ووصى بعض أحبار اليهود عند موته باتباعه وقال : انه يسفك الدماء ، ويسبي الذراري والنساء ، فلا يمنعهم ذلك منه . وروي ان المسيح عليه السلام قال لبني اسرائيل في وصف النبي ﷺ « انه يسل السيف فيدخلون في دينه طوعا وكرها

وانما أمر النبي ﷺ بالسيف بعد الهجرة لما صار له دار وأتباع وقوة ومنعة ، وقد كان يتهدد أعداءه بالسيف قبل الهجرة ، وكان ﷺ يطوف بالبيت وأشراف قريش قد اجتمعوا بالحجر وقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل ، قد سفه احلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا . لقد صبرنا منه على أمر عظيم . فلما مر بهم النبي ﷺ غمزوه ببعض القول ، فعرف ذلك في وجهه ﷺ ، وفعلوا ذلك به ثلاث مرات ، فوقف فقال « أتسمعون يامعشر قريش ؟ اما والذي نفس محمد بيده ، لقد جئتكم بالذبح » فأخذت القوم كلمته ، حتى مافيهم رجل إلا كأنما على رأسه طير واقع ، وحتى ان أشدهم عليه قبل ذلك ليلقاه بأحسن مايجد من القول ، حتى انه ليقول : انصرف ياابا القاسم راشداً ، فوالله ماكنت جهولا

وقال محمد بن كعب : بلغ النبي ﷺ ان أبا جهل يقول : ان محمداً يزعم نكم ان بايعتموه عشتم ملوكا فاذا متم بعثتم بعد موتكم ، وكانت لكم جنان خير من جنان الاردن ، وأنكم ان خالفتموه كان لكم منه الذبح . ثم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم نار تعذبون فيها ، فبلغ النبي ﷺ قوله ، فقال « وانا أقول ذلك ان لهم مني لذبحا ، وانه لآخذهم »

وقد أمر الله تعالى بالقتال في مواضع كثيرة ، قال تعالى (اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد) وقال (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فامامناً بعد وإما فداء) ولهذا عوتبوا على أخذ الفداء منهم في أول قتال قاتلوه يوم بدر ونزل قوله تعالى (ماكان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض * تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة) وكانوا قد أشاروا على النبي ﷺ بأخذ الفداء من الأسارى واطلاقهم

قال ابن عيينة : أرسل محمد ﷺ بأربعة سيوف[1] : سيف على المشركين من العرب حتى يسلموا ، وسيف على المشركين من غيرهم حتى يسلموا أو يسترقوا أو يقادوا بهم ، وسيف على أهل القبلة من أهل البغي

وفيما ذكره نزاع بين العلماء ، فان منهم من يجيز المفاداة والاسترقاق في العرب وغيرهم ، وكذلك يجيز أخذ الجزية بين الكفار جميعهم ، والذي يظهر ان في القرآن اربعة سيوف : سيف على المشركين حتى يسلموا او يؤسروا ، فاما منا بعد وإما فداء ، وسيف على المنافقين وهو سيف الزنادقة ، وقد أمر الله بجهادهم والاغلاظ عليهم في سورة براءة وسورة التحريم وآخر سورة الاحزاب ، وسيف على أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية ، وسيف على أهل البغي ، وهو المذكور في سورة الحجرات . ولم يسل ﷺ هذا السيف في حياته ، وانما سله علي رضي الله عنه في خلافته . وكان يقول « أنا الذي علمت الناس قتال أهل القبلة »

وله ﷺ سيوف أخر ، منها سيفه على أهل الردة وهو الذي قال فيه « من بدل دينه فاقتلوه » وقد سله ابو بكر الصديق رضي الله عنه من بعده في خلافته على من ارتد من قبائل العرب

ومنها سيفه على المارقين ، وهم أهل البدع كالخوارج . وقد ثبت عنه الامر بقتالهم مع اختلاف العلماء في كفرهم . وقد قاتلهم علي رضي الله عنه في خلافته مع قوله « انهم ليسوا بكفار »

وقد روي عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ أمر بقتال المارقين والناكثين والقاسطين . وقد حرق علي طائفة من الزنادقة فصوب ابن عباس قتلهم وأنكر عليه تحريقهم بالنار فقال علي « ويح ابن عباس ، ابحاث عن الهنات »

***

﴿ قوله ﷺ « بين يدي الساعة » يعني امامها ، ومراده انه بعث قدام

---

(١) كذا وظاهر السياق (ثلاثة سيوف)

الساعة قريبا منها . ومن أسمائه ﷺ الحاشر ، والعاقب كما صح عنه ﷺ انه قال «انا محمد واحمد ، والماحي ،الذي يمحو الله بي الكفر ، والحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، والعاقب الذي ليس بعدي نبي »

وقد جعل الله انشقاق القمر من علامات اقتراب الساعة كما قال تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) وكان انشقاقه بمكة قبل الهجرة

وصح عنه ﷺ انه قال « بعثت انا والساعة كهاتين » وأشار بأصبعيه: السبابة والوسطى ، خرجاه في الصحيحين

وخرج الامام احمد من حديث بريدة « بعثت انا والساعة جميعا إن كادت لتسبقني » وللترمذي« بعثت في نفس الساعة فسبقتها كما سبقت هذه لهذه- لأصبعيه السبابة والوسطى- ليس بينهما أصبع أخرى » والصحيح انه يدل من ذلك على القرب من الساعة

وكان قتادة يشير إلى ان المراد بينه وبين الساعة كمقدار فضل السبابة على الوسطى ، وقد قيل ان بينهما من الفضل مقدار نصف سبع ، وأخذ من هذا ان بقاء أمته ألف سنة،وهو سبع الدنيا. وقد ورد ذلك مرفوعا من حديث ابن زميل ولكن اسناده لايصح ، وقد رجح ذلك ابن الجوزي والسهيلي وقال: إن لم يصح فيه الحديث المرفوع فقد صح عن ابن عباس وغيره،وهو عند أهل الكتاب كذلك

ومما يدل على ان بعثة محمد ﷺ من علامات الساعة انه أخبر عن خروج الدجال في حديث الجساسة

***

قوله ﷺ « حتى يعبد الله وحده لاشريك له » هذا هو المقصود الاعظم من بعثته ﷺ بل من بعثة الرسل من قبله كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه انه لاإله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في

كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) بل هذا هو المقصود من خلق الخلق وإيجادهم كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) فما خلقهم إلا ليأمرهم بعبادته ، وأخذ عليهم العهد لما استخرجهم من صلب آدم على ذلك كما قال تعالى (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى، شهدنا) الآية

وقد تكاثرت الاحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة في تفسير هذه الآية أنه تعالى استنطقهم حينئذ ، فأقروا كلهم بوحدانيته ، وأشهدهم على أنفسهم وأشهد عليهم أباهم آدم والملائكة

ثم انه تعالى هداهم في كل زمان بارسال رسله وإنزال الكتب يذكرهم بالعهد الاول ، ويجدد عليهم العهد والميثاق على أن يوحدوه ويعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وأشار في خطاب آدم وحواء عند هبوطهما من الجنة إلى هذا المعنى في قوله تعالى (قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى ، فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وفي سورة طه نحو هذا. فما وفى بنو آدم كلهم بهذا العهد المأخوذ عليهم ، بل نقضه أكثرهم وأشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ، فبعث الله الرسل تجدد ذلك العهد الاول وتدعوا إلى تجديد الاقرار بالوحدانية

فكان أول رسول بعث إلى أهل الارض يدعوهم إلى التوحيد وينهاهم عن الشرك نوح عليه السلام ، فان الشرك قد فشا في الارض من بني آدم قبل نوح فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم الى الله وإلى عبادته وحده لا شريك له ، كما ذكر سبحانه في سورة نوح عنه أنه قال لقومه (اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) وأخبر في موضع آخر عنه انه قال لهم (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) فما استجاب له إلا قليل منهم وأكثرهم أصروا على الشرك

(وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ، ولا يغوث ويعوق ونسراً)
فلما اصروا على كفرهم أغرقهم الله بالطوفان ونجا نوحا ومن آمن معه (وما آمن معه إلا قليل)

ثم ان الله تعالى بعث ابراهيم خليله عليه السلام فدعا إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، وناظر على ذلك أحسن مناظرة ، وأبطل شبه المشركين بالبراهين الواضحة ، وكسر أصنام قومه حتى جعلهم جذاذاً [1] فأرادوا تحريقه فأنجاه الله من النار وجعلها عليه برداً وسلاما ، ووهب الله له اسماعيل واسحاق ، فجعل عامة الانبياء من ذرية اسحاق ، فان اسرائيل هو يعقوب بن اسحاق ، وأنبياء بني اسرائيل كلهم من ذرية يعقوب ، كيوسف وموسى وداود وسليمان عليهم السلام . وآخرهم المسيح بن مريم عليه السلام . وانما دعا إلى التوحيد كما قال تعالى (ماقلت لهم إلا ماأمرتني به ، ان اعبدوا الله ربي وربكم)

ثم طبق الشرك الارض بعد المسيح . فان قومه الذين ادعوا اتباعه والايمان به أشركوا غاية الشرك فجعلوا المسيح هو الله أو ابن الله ، وجعلوا أمه ثالث ثلاثة

وأما اليهود فانهم وإن تبرأوا من الشرك فالشرك فيهم موجود ، فانه كان فيهم من عبد العجل في حياة موسى عليه السلام وقال فيه : انه الله ، وان موسى نسي ربه وذهب يطلبه ، ولا شرك أعظم من هذا . وطائفة قالوا : العزير ابن الله ، وهذا من أعظم الشرك . وأكثرهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، فأحلوا لهم الحرام ، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم ، فكانت تلك عبادتهم إياهم ، لان من أطاع مخلوقا في معصية الخالق واعتقد جواز طاعته أو وجوبها فقد أشرك بهذا الاعتبار ، حيث جعل التحليل والتحريم لغير الله

وأما المجوس فشركهم ظاهر ، فانهم يقولون بالهين قديمين (أحدهما) نور (والآخر) ظلمة ، فالنور خالق الخير ، والظلمة خالق الشر . وكانوا يعبدون النيران

(١) الجذ : القطع والاستئصال . والاسم الجذاذ

وأما العرب والهند وغيرهم من الامم فكانوا أظهر الناس شركا يعبدون مع الله آلهة كثيرة ويزعمون انها تقرب إلى الله زلفى

فلما طبق الشرك أقطار الارض ، واستطار شرره في الآفاق من المشرق إلى المغرب بعث الله محمداً ﷺ بالحنيفية المحضة والتوحيد الخالص دين ابراهيم عليه السلام، وأمره أن يدعو الخلق كلهم الى توحيد الله وعبادته وحده لاشريك له ، فكان يدعو سراً الى ذلك نحواً من ثلاث سنين ، فاستجاب له طائفة من الناس ،ثم أمر باعلان الدعوة وإظهارها، وقيل له (اصدع بما تؤمر) فدعا الى الله وإلى توحيده وعبادته وحده لاشريك له جهراً ، وأعلن الدعوة ، وذم الآلهة التي تعبد من دون الله ، وذم من عبدها وأخبر انه من أهل النار ، فثار عليه المشركون ، واجتهدوا في إيصال الاذى اليه والى أتباعه ، وفي اطفاء نور الله الذي بعثه به، وهو لايزداد الا اعلانا بالدعوة وتصميما على اظهارها واشهارها والنداء بها في مجامع الناس

وكان يخرج بنفسه في مواسم الحج الى من يقدم الى مكة من قبائل العرب فيعرض نفسه عليهم ، ويدعوهم الي التوحيد ،وهم لايستجيبون له ، بل يردون عليه قوله ويسمعونه ما يكره ، وربما نالوه بالاذى . وبقي عشر سنين على ذلك يقول « من يمنعني حتى أؤدي رسالات ربي ؟ »

وكان يشق أسواقهم بالمواسم وهم مزدحمون بها كسوق ذي المجاز ، ينادي « يا أيها الناس قولوا : لااله إلا الله تفلحوا » ووراءه أبو لهب يؤذيه ويرد عليه وينهي الناس عن اتباعه .

واجتمع المشركون مرة عند عمه أبي طالب يشكونه اليه ويقولون : شتم آلهتنا وسفه أحلامنا وسب آباءنا ، فمره فليكف عن آلهتنا . فقال أبو طالب للنبي ﷺ :أجب قومك فيما سألوه . فقال « أنا أدعوهم الى خير من ذلك: أن

يتكلموا كلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم » فقال أبو جهل: نعطيكها وعشر أمثالها قال « تقولون لا اله الا الله » فنفروا عند ذلك وتفرقوا وهم يقولون (أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ ان هذا لشيء عجاب) وفي رواية انه ﷺ قال لعمه « يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه »

قال ﷺ « لقد خفت في الله وما يخاف أحد ، ولقد أوذيت في الله وما أوذي أحد ، ولقد أتت علي ثلاثون - من بين يوم وليلة - وما لي طعام يأكله ذو كبد الا شيء يواريه ابط بلال » وفي رواية عنه ﷺ قال « ما أوذي أحد في الله ما أوذيت »

كان العدو يجهد له في نيل الاذى ، والصديق يلوم على هذا الاحتمال اذا كان كذا ، والمحبة تقول حبذا هذا الشقاء اذا كان في رضى الحبيب والدعوة الى التوحيد حبذا

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي   متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيذة   حباً لذكرك فليلمني اللوم

ثم ان أبا طالب لما توفي (١) وتوفيت بعده خديجة اشتد المشركون على رسول الله ﷺ حتى اضطروه الى أن خرج من مكة الى الطائف ، فدعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك له ، فلم يجيبوه وقابلوه بغاية الاذى وأمروه بالخروج من أرضهم ، وأغروا به سفهاءهم ، فاصطفوا له صفين وجعلوا يرمونه بالحجارة حتى أدموه ، فخرج ومعه مولاه زيد بن حارثة فلم يمكنه دخول مكة الا بجوار وطلب من جماعة من رؤساء قريش أن يجيروه حتى يدخل مكة فلم يفعلوا حتى أجاره المطعم بن عدي ، فدخل في جواره ، وعاد إلى ما كان عليه من الدعاء إلى توحيد الله وعبادته

وكان يقف بالموسم على القبائل فيقول لهم قبيلة قبيلة « يابني فلان اني رسول

---

(١) كانت وفاته ووفاة خديجة (رض) في أسبوع واحد في أواخر السنة العاشرة من المبعث

الله اليكم : يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً » وأبو لهب خلفه يقول : لاتطيعوه. وكان ﷺ ينادي «من يؤويني ؟ من ينصرني؟ حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة؟ » فلا يجيبه احد حتى بعث له الانصار من المدينة فبايعوه

هذا كله وهو صابر على الدعوة الى الله عزوجل على هذا الوجه ، راض بما يحصل له فيها من الاذى ، منشرح الصدر بذلك ، غير متضجر منه ولا جزع . كان اذا اشتكى احد من اصحابه يقول « اني عبدالله وانه لن يضيعني »

صرت لهم عبداً وما ‏ ‏ للعبد أن يعترضا

من لمريض لا يري ‏ ‏ الا الطبيب الممرضا ؟

وفي الصحيح عن عائشة قالت : قلت، يارسول الله،هل مر عليك يوم كان أشد من يوم احد ؟ فقال « لقد لقيت من قومك ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني الى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أفق الا وأنا بقرن الثعالب(١) فرفعت رأسي فاذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني فقال: ان الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث الله اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، قال فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال ان الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال،وقد بعثني ربك اليك لتأمرني بأمرك وما شئت ،إن شئت أن اطبق الاخشبين عليهم، فقال له الرسول ﷺ: بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لايشرك به شيئا »

ما مقصود الرسول ﷺ الا ان يعبد الله ولا يشرك به شيء، وما يبالي — اذا حصل ذلك — ما اصابه في الدعوة اليه ، اذا وحد معبوده ، حصل مقصوده ،

---

(١) هو قرن المنازل (بسكون الراء) ميقات أهل نجد تلقاء مكة على يوم وليلة منها وقال الملهي : بينها وبين مكة ٥١ ميلا . وبينها وبين الطائف ذات اليمين ٣٦ ميلا

إذا عبد محبوبه، حصل مطلوبه ، اذا ذكر ربه، رضي قلبه ، وأما جسمه فما يبالي أصابه في سبيل ربه ما يؤلمه ،او يلائمه

إن كان سركم ماقد بليت به فما لجرح اذا ارضاكم ألم

وحسب سلطان الهوى انه يؤلف فيه كل ما يؤلم

وكان كلما آذاه الاعداء اذا دعاهم الى مولاهم رجع الى مولاه فتسلى بعلمه ونظره اليه وقربه منه ، واشتغل بمناجاته ، وذكره ودعائه وخدمته ، فنسي كل ما اصابه من الالم من اجله ، وقد أمره الله بذلك في القرآن في مواضع كثيرة نحو قوله تعالى (واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم) وقوله (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب)وقوله (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين*واعبد ربك حتى ياتيك اليقين)

وكان ﷺ اذا حزبه امر قام الى الصلاة لان الصلاة صلة ، وكان يقول « وجعلت قرة عيني في الصلاة »

سروري من الدهر لقياكم ودار سلامي مغناكم

وأنتم منتهى املي ما حييت وما طاب عيشي لولاكم

اذا ازدحمت في فؤادي الهموم أروح قلبي بذكراكم

فلا تنسوا العهد فيما مضى فلسنا مدى الدهر ننساكم

فلم يزل ﷺ يدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له حتى ظهر دين الله وأعلن ذكره وتوحيده في المشارق والمغارب، وصارت كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر ، وتوحيده هو الشائع ، وصار الدين كله لله ، والطاعة كلها لله ، ودخل الناس في دين الله افواجا . فجعل ذلك علامة على اقتراب اجله وأمر حينئذ بالتهيؤ للقاء الله والنقلة إلى دار البقاء

وكان المعنى أن قد حصل المقصود من إرسالك ، وظهر توحيدي في أقطار الارض وزال منها ظلام الشرك ، وحصلت عبادتي وحدي لا شريك لي ، وصار الدين كله لي ، فأنا أستدعيك الى جواري لأجزيك أعظم الجزاء (وللآخرة خير لك من الاولى * ولسوف يعطيك ربك فترضى)

وفي صفته ﷺ في التوراة «ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا إله إلا الله» وفتح به أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا

وكان ﷺ انما يقاتل على دخول الناس في التوحيد كما قال «أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الاسلام»

وكان اذا بعث سرية للغزو يوصي أميرهم بان يدعو عدوه عند لقائهم إلى التوحيد ، وكذلك أمر معاذ بن جبل لما بعثه إلى اليمن أن يدعوهم الى شهادة التوحيد ، وكذلك أمر علي بن ابى طالب حين بعثه لقتال أهل خيبر

وروي عنه ﷺ انه كان اذا بعث بعثاً قال «تألفوا الناس وتأنوابهم ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم ، فما على الارض من اهل بيت مدر ولا وبر إلا ان تأتوني بهم مسلمين أحب إلي من ان تأتوني بنسائهم وأولادهم وتقتلوا رجالهم»

***

﴿قوله ﷺ﴾ «وجعل رزقي تحت ظل رمحي» اشارة إلى ان الله لم يبعثه بالسعي في طلب الدنيا ، ولا بجمعها واكتنازها ، ولا الاجتهاد في السعي في أسبابها وانما بعثه داعيا الى توحيده بالسيف ، ومن لازم ذلك ان يقتل أعداءه الممتنعين عن قبول دعوة التوحيد ، ويستبيح أموالهم ، ويسبي نساءهم وذراريهم ، فيكون رزقه مما أفاء الله من أموال أعدائه ، فان المال انما خلقه الله لبني آدم ليستعينوا به على طاعته وعبادته ، فمن استعان به على الكفر بالله والشرك به سلط الله عليه

رسوله وأتباعه فانتزعوه منه وأعادوه الى من هو اولى به من أهل عبادة الله وتوحيده وطاعته ، ولهذا يسمى الفيء لرجوعه الى من كان أحق به ولأجله خلق وكان في القرآن المنسوخ (انما أنزلنا المال لاقام الصلاة وإيتاء الزكاة)

فأهل التوحيد والطاعة لله أحق بالمال من أهل الكفر به والشرك ، فلذلك سلط الله رسوله وأتباعه على من كفر به وأشرك ، فانتزع أموالهم ، وجعل رزق رسوله من هذا المال ، لأنه احل الاموال كما قال تعالى (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) وهذا مما خص الله به محمداً ﷺ وأمته فانه أحل لهم الغنائم

وقد قيل : ان الذي خصت بحله هذه الامة هو الغنيمة المأخوذة بالقتال دون الفيء المأخوذ بغير قتال فانه كان حلا مباحا لمن قبلنا وهو الذي جعل رزق رسوله منه ، وانما كان أحل من غيره لوجوه :

(منها) انه انتزاع مال ممن لا يستحقه لئلا يستعين به على معصية الله والشرك به ، فاذا انتزعه ممن لا يستعين به على غير طاعته وتوحيده والدعوة إلى عبادته كان ذلك أحب الاموال إلى الله وأطيب وجوه اكتسابها عنده

(ومنها) انه كان ﷺ انما كان يجاهد لتكون كلمة الله هي العليا ، ودينه هو الظاهر لا لأجل الغنيمة فيحصل له الرزق تبعا لعبادته وجهاده في الله ، فلا يكون فرغ وقتا من أوقاته لطلب الرزق محضا ، وانما عبد الله في جميع أوقاته وحده فيها وأخلص له ، فجعل الله له رزقه ميسراً في ضمن ذلك من غير ان يقصده ولا يسعى اليه . وجاء في حديث مرسل انه ﷺ قال « أنا رسول الرحمة ، وأنا رسول الملحمة ، ان الله بعثني بالجهاد ولم يبعثني بالزرع » وخرج البغوي في معجمه حديثا مرسلا « إن الله بعثني بالهدى ودين الحق ولم يجعلني زراعا ولا تاجراً ، ولا سخابا بالاسواق ، وجعل رزقي في رمحي » وانما ذكر الرمح ولم يذكر السيف لئلا يقال انه ﷺ يرتزق من مال الغنيمة انما كان يرزق مما أفاء الله عليه من خيبر

والفيء ماهرب أهله منه خوفا وتركوه، بخلاف الغنيمة فانها مأخوذة بالقتال بالسيف ، وذكر الرمح أقرب إلى حصول الفيء لان الرمح يراه العدو من بعد فيهرب فيكون هرب العدو من ظل الرمح ، والمأخوذ به هو مال الفيء ، ومنه كان رزق النبي بخلاف الغنيمة فانها تحصل من قتال السيف . والله تعالى أعلم

وقال عمر بن عبد العزيز : إن الله تعالى بعث محمداً هاديا ولم يبعثه جابيا ، فكان صلى الله عليه وسلم شغله بطاعة الله والدعوة إلى التوحيد ،وما يحصل في خلال ذلك من الاموال من الفيء والغنائم يحصل تبعاً لا قصداً أصليا ، ولهذا ذم من ترك الجهاد واشتغل عنه باكتساب الاموال .وفي ذلك نزل قوله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) لما عزم الانصار على ترك الجهاد والاشتغال باصلاح أموالهم وأراضيهم

وفي الحديث الذي خرجه ابو داود وغيره « اذا تبايعتم بالعينة واتبعتم أذناب البقر ، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلا لاينزعه الله من رقابكم حتى تراجعوا دينكم »ولهذا كره الصحابة رضي الله عنهم الدخول في أرض الخراج للزراعة فانها تشغل عن الجهاد

وقال مكحول : إن المسلمين لما قدموا الشام ذكر لهم زرع الحولة، فزرعوا فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فبعث إلى زرعهم وقد ابيض وأدرك فحرقه بالنار ، ثم كتب اليهم: إن الله جعل أرزاق هذه الامة في أسنة رماحها ، وتحت أزجتها ، فاذا زرعوا كانوا كالناس . خرجه أسد بن موسى

وروى البيضاوي باسناد له عن عمر انه كتب : من زرع زرعا واتبع أذناب البقر ورضي بذلك وأقر به جعلت عليه الجزية

وقيل لبعضهم لو اتخذت مزرعة للعيال ؟ فقال : والله ماجئنا زراعين ولكن جئنا لنقتل أهل الزرع ونأكل زرعهم

فأكمل حالات المؤمن ان يكون اشتغاله بطاعة الله والجهاد في سبيله، والدعوة

إلى طاعته لا يطلب بذلك الدنيا ، ويأخذ من مال الفيء قدر الكفاية ، كما كان النبي ﷺ يأخذ لأهله قوت سنة من مال الفيء ثم يقسم باقيه ، وربما رأى محتاجا بعد ذلك فيقسم عليه قوت أهله فيبقى أهله بلا شيء

وكذلك من يشتغل بالعلم لأنه أحد نوعي الجهاد فيكون اشتغاله بالعلم للجهاد في سبيل الله والدعوة اليه ، فيأخذ من أموال الفيء أو الوقوف على العلم قدر الكفاية ليتقوى على جهاده ، ولا ينبغي أن يأخذ أكثر من قدر كفايته من ذلك

وقد نصّ احمد على ان مال بيت المال كالخراج لا يؤخذ منه أكثر من الكفاية ، فمال الوقف أضيق

ومن اشتغل بطاعة الله فقد تكفل الله برزقه ، كما في حديث زيد بن ثابت المرفوع « من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة » خرجه الامام احمد وابن ماجه

وخرجه الترمذي من حديث أنس مرفوعا « إن الله يقول يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى ، وأسد فقرك ، وإلا تفعل ملأت يديك شغلا ، ولم أسد فقرك » وخرج ابن ماجه من حديث ابن مسعود مرفوعا « من جعل الهموم هما واحداً هم آخرته كفاه الله هم دنياه ، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك » وفي الآثار الاسرائيلية يقول الله : يا دنيا اخدمي من خدمني ، واتعبي من خدمك .

***

﴿ قوله ﷺ ﴾ « وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري » هذا يدل

على أن العز والرفعة في الدنيا والآخرة بمتابعة أمر رسول الله ﷺ لامتثال متابعة أمر الله ، قال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقال تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) وقال تعالى (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا)

وفي بعض الآثار: يقول الله تعالى «أنا العزيز فمن أراد العز فليطع العزيز» قال الله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) فالذلة والصغار يحصل بمخالفة أمر الله ورسوله . ومخالفة الرسول على قسمين :

(أحدهما) مخالفة من لايعتقد طاعة أمره كمخالفة الكفار ، وأهل الكتاب الذين لايرون طاعة الرسول، فهم تحت الذلة والصغار ، ولهذا أمر الله بقتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، وعلى اليهود الذلة والمسكنة لان كفرهم بالرسول كفر عناد

(والثاني) من اعتقد طاعته ثم يخالف أمره بالمعاصي التي يعتقد انها معصية فله نصيب من الذلة والصغار ، وقال الحسن : انهم وإن طقطقت بهم البغال ، وهملجت بهم البراذين[1] فان ذل المعصية في رقابهم، أبى الله أن يذل إلا من عصاه، كان الامام احمد يدعو : اللهم أعزنا بالطاعة ولا تذلنا بالمعصية . قال ابو العتاهية:

ألا انما التقوى هي العز والكرم   وحبك للدنيا هو الذل والسقم
وليس على عبد تقي نقيصة   اذا حقق التقوى وإن حاك أو حجم

فأهل هذا النوع خالفوا الرسول من أجل داعي الشهوات

(والنوع الثاني) من خالف أمره من أجل الشبهات وهم أهل الاهواء والبدع ، فكلهم لهم نصيب من الذلة والصغار بحسب مخالفتهم لاوامره ، قال تعالى (إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين)

---

(١) الطقطقة · حكاية صوت الحجارة . والهملجة : نوع من المشية تمرن عليها الدواب للخيلاء

وأهل الاهواء والبدع كلهم مفترون على الله ، وبدعتهم تتغلظ بحسب كثرة افترائهم عليه ، وقد جعل الله من حرم ما أحله الله وحلل ما حرمه الله مفتريا عليه الكذب ، فمن قال على الله مالا يعلم فقد افترى عليه الكذب ، ومن نسب إلى الله مالا يجوز نسبته اليه من تمثيل أو تعطيل ، أو كذب باقداره فقد افترى على الله الكذب ، وقد قال الله عز وجل (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) قال سفيان : الفتنة أن يطبع الله على قلوبهم

فلهذا تغلظت عقوبة المبتدع على عقوبة العاصي لان المبتدع مفتر على الله مخالف لامر رسوله لاجل هواه

فأما مخالفة بعض أوامر الرسول ﷺ خطأ من غير عمد مع الاجتهاد على متابعته فهذا يقع كثيراً من أعيان الامة من علمائها وصلحائها ولا اثم فيه ، بل صاحبه اذا اجتهد فله أجر على اجتهاده وخطأه موضوع عنه ، ومع هذا فلا يمنع ذلك من علم أمر الرسول الذي خالفه هذا : أن يبين للامة ان هذا مخالف لأمر الرسول ، نصيحة لله ولرسوله ولعامة المسلمين ، ولا يمنع ذلك من عظمة من خالف أمره خطأ ، وهب ان هذا المخالف عظيم له قدر وجلالة وهو محبوب للمؤمنين إلا أن حق الرسول مقدم على حقه وهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم

فالواجب على كل من بلغه أمر الرسول وعرفه أن يبينه للامة وينصح لهم ، ويأمرهم باتباع أمره وإن خالف ذلك رأي عظيم من الامة ، فان امر رسول الله ﷺ أحق أن يعظم ويقتدى به من رأي معظم قد خالف أمره في بعض الاشياء خطأ

ومن هنا رد الصحابة ومن بعدهم من العلماء على كل من خالف سنة صحيحة وربما أغلظوا في الرد – لا بغضاً له بل هو محبوب عندهم ، معظم في نفوسهم – لكن رسول الله ﷺ أحب اليهم ، وأمره فوق أمر كل مخلوق . فاذا تعارض أمر الرسول وأمر غيره فأمر الرسول ﷺ أولى أن يقدم ويتبع ، ولا يمنع من ذلك

تعظيم من خالف أمره وإن كان مغفوراً له، بل ذلك المخالف المغفور له لا يكره أن يخالف أمره إذا ظهر أمر الرسول ﷺ بخلافه، بل يرضى بمخالفة أمره ومتابعة أمر الرسول ﷺ إذا ظهر أمره بخلافه كما أوصى الشافعي: اذا صح الحديث في خلاف قوله أن يتبع الحديث ويترك قوله. و كان يقول: ما ناظرت احداً فأحببت أن يخطيء، وما ناظرت أحداً فباليت أظهر الحق على لسانه او على لساني. لان تناظرهم كان لظهور امر الله ورسوله لا لظهور نفوسهم والانتصار لها

وكذلك المشائخ والعارفون كانوا يوصون بقبول الحق من كل من قال الحق صغيراً كان او كبيرا وينقادون لقوله

وقيل لحاتم الاصم: انت رجل عي لا تفصح، وما ناظرت احدا الا قطعته، فبأي شيء تغلب خصمك؟ قال: بثلاث، أفرح اذا اصاب خصمي، وأحزن اذا أخطأ، وأحفظ لساني عن ان اقول له مايسوءه. فذكر ذلك للامام احمد فقال: ما كان اعقله من رجل

وقد روي عن الامام احمد انه قيل له: ان عبد الوهاب الوراق ينكر كذا وكذا، فقال: لانزال بخير مادام فينا من ينكر. ومن هذا الباب قول عمر لمن قال له اتق الله يا امير المؤمنين فقال «لا خير فيكم ان لم تقولوها لنا، ولا خير فينا اذا لم نقبلها منكم» وردت عليه امرأة مقالته فرجع اليها وقال «رجل اخطأ وامرأة اصابت»

فلا يزال الناس بخير ما كان فيهم الحق وتبيين اوامر الرسول ﷺ التي يخطيء من خالفها وان كان معذورا مجتهدا مغفورا له، ولهذا مما خص الله به هذه الامة لحفظ دينها الذي بعث الله به رسوله ﷺ - أن لا تجتمع على ضلالة بخلاف الامم السالفة

فههنا امران (احدهما) ان من خالف امر الرسول في شيء خطأ مع اجتهاده في طاعته ومتابعته اوامره فانه مغفور له لاينقص درجته بذلك (والثاني) انه لا

يمنعنا تعظيمه ومحبته من تبيين مخالفة قوله لأمر الرسول ﷺ ، ونصيحة الامة بتبيين امر الرسول ﷺ ، ونفس ذلك الرجل المحبوب المعظم لو علم ان قوله مخالف لأمر الرسول فانه يحب من يبين للامة ذلك ويرشدهم الى امر الرسول، ويردهم عن قوله في نفسه، وهذه النكتة تخفى على كثير من الجهال بسبب [غلوهم في التقليد] وظنهم أن الرد على معظم من عالم وصالح تنقص به ، وليس كذلك، وبسبب الغفلة عن ذلك تبدل دين أهل الكتاب فانهم اتبعوا زلات علمائهم ، وأعرضوا عما جاءت به انبياءهم ، حتى تبدل دينهم واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله . فأحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم، فكانت تلك عبادتهم إياهم . فكان كلما كان فيهم رئيس كبير معظم مطاع عند الملوك قبل منه كل ما قال ، وتحمل الملوك الناس على قوله . وليس فيهم من يرد قوله ، ولا يبين مخالفته للدين

وهذه الامة عصمها الله عن الاجتماع على ضلالة، فلا بد أن يكون فيها من يبين امر الله ورسوله، ولو اجتهدت الملوك على جمع الامة على خلافه لم يتم لهم أمرهم، كما جرى مع المأمون والمعتصم والواثق، حيث اجتهدوا على إظهار القول بخلق القرآن وقتلوا الناس وضربوهم وحبسوهم على ذلك ، وأجابهم العلماء تقية وخوفا ، فاقام الله إمام المسلمين في وقتهم أحمد بن حنبل ، فرد باطلهم حتى اضمحل أمرهم ، وصار الحق هو الظاهر في جميع بلاد الاسلام والسنة ، ولم يكن الامام احمد يحابي أحداً في مخالفة شيء من امر الرسول وإن دق . ولو عظم مخالفه في نفوس الخلق . فقد تكلم في بعض اعيان مشايخ العلم والدين لمسئلة اخطأها، فخمل أمره حتى لما مات لم يصل عليه الا نحو اربعة انفس [1] وكان كلما تكلم في أحد سقط، لان كلامه تعظيم لامر الله ورسوله لا لهوى نفسه

ولقد كان بشر الحافي يقول لمن سأله عن مرضه : أحمد الله اليكم ، بي كذا

(١) هو الحرث المحاسبي رحمه الله ، تكلم الامام عليه من أجل كتبه في التصوف

وكذا. فقيل ذلك للامام احمد، وقالوا: هو يبدأ بالحمد قبل ان يصف مرضه، فقال احمد: سلوه عمن اخذ هذا ؟ - يعني ان كان هذا لم ينقل عن السلف فلا يقبل منه . فقال بشر عندي فيه أثر، ثم روى باسناده عن بعض السلف قال «من بدأ بالحمد قبل الشكوى لم تكتب عليه الشكوى» فبلغ ذلك الامام احمد فقبل قوله

وقد صح عن النبي ﷺ انه قال « من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد» فأمر الله ورسوله بالرد على من خالف امر الله ورسوله، والرد على من خالف امر الله ورسوله لا يتلقى الا عمن عرف ما جاء به الرسول وخبره خبرة تامة . قال بعض الائمة: لا يؤخذ العلم الا عمن عرف بالطلب

وأمر الرسول ﷺ نوعان : أمر ظاهر بعمل الجوارح ، كالصلاة والصيام والحج والجهاد ونحو ذلك ، وأمر باطن تقوم به القلوب ، كالايمان بالله ومعرفته ومحبته وخشيته وإجلاله وتعظيمه والرضا بقضائه والصبر على بلائه ، فهذا كله لا يؤخذ الا ممن عرف الكتاب والسنة ، ومن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في علمنا ، فمن تكلم على شيء من هذا مع جهله بما جاء به الرسول فهو داخل فيمن يفتري على الله الكذب ، وفيمن يقول على الله ما لا يعلم ، فان كان مع ذلك لا يقبل الحق ممن ينكر عليه باطله لمعرفته ما جاء به الرسول ﷺ بل ينتقص به وقال: انا وارث حال الرسول والعلماء وارثون علمه ، فقد جمع هذا بين افتراء الكذب على الله والتكذيب بالحق لما جاء به (فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه - أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ؟) فان هذا متكبر على الحق والانقياد له ، منقاد لهواه وجهله ، ضال مضل ، وانما يرث حال الرسول من علم حاله ثم اتبعه ، فان من لا علم له بحاله فمن اين يكون وارثه؟

ومثل هذا لم يكن ظهر في زمن السلف الصالح حتى يجاهدوا فيه حق الجهاد وانما ظهر هذا في زمن قل فيه العلم وكثر فيه الجهل ، ومع هذا فلا بد ان يقيم الله

من يبين للامة ضلاله، وله نصيب من الذل والصغار بحسب مخالفته لامر الرسول صلى الله عليه وسلم

يالله العجب، لو ادعى رجل معرفة صناعة من صنائع الدنيا ولم يعرفه الناس بها، ولا شاهدوا عنده آلاتها ـ لكذبوه في دعواه ولم يأمنوه على اموالهم ولم يمكنوه ان يعمل فيها ما يدعيه من تلك الصناعة، فكيف بمن يدعي معرفة امر الرسول وما شوهد قط يكتب علم الرسول ولا يجالس اهله ولا يدارسه؟ فلله العجب كيف يقبل اهل العقل دعواه، ويحكمونه في اديانهم يفسدها بدعواه الكاذبة؟

إن كنت تنوح يا حمام البان للبين، فأين شاهد الاحزان؟
اجفانك للدموع ام اجفاني لا يقبل مدع بلا برهان

ومن اعظم ماحصل به الذل من مخالفة امر الرسول صلى الله عليه وسلم ترك ما كان عليه من جهاد اعداء الله فمن سلك سبيل الرسول صلى الله عليه وسلم في الجهاد عز، ومن ترك الجهاد مع قدرته عليه ذل. وقد سبق حديث «إذا تبايعتم بالعينة واتبعتم اذناب البقر وتركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه من رقابكم حتى تراجعوا دينكم» ورأى النبي صلى الله عليه وسلم سكة الحرث فقال «مادخلت دار قوم الا دخلها الذل» فمن ترك ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من الجهاد مع قدرته واشتغل عنه بتحصيل الدنيا من وجوهها المباحة حصل له الذل فكيف اذا اشتغل عن الجهاد بجمع الدنيا من وجوهها المحرمة؟

*
* *

قوله صلى الله عليه وسلم «ومن تشبه بقوم فهو منهم» هذا يدل على أمرين

(أحدهما) التشبه باهل الشر مثل أهل الكفر والفسوق والعصيان وقد وبخ الله من تشبه بهم في شيء من قبائحهم فقال تعالى (فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا)

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التشبه بالمشركين وأهل الكتاب، فنهى عن الصلاة

عند طلوع الشمس وعند غروبها ، وعلل بانه « حينئذ يسجد لها الكفار » فيصير السجود في ذلك الوقت تشبها في الصورة الظاهرة ، وقال ﷺ « إن اليهود والنصارى لايصبغون فخالفوهم » وفي رواية عنه ﷺ « غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود » وقال ﷺ « خالفوا المشركين ، اعفوا الشوارب واحفوا اللحى » وفي رواية « جزوا الشوارب وارخوا اللحا ، خالفوا المجوس » وأمر ﷺ بالصلاة في النعال مخالفة لأهل الكتاب . وروي عنه ﷺ انه قال « ليس منا من تشبه بغيرنا ، لاتشبهوا باليهود والنصارى ، فان تسليم اليهود الاشارة بالكف » خرجه الترمذي . ونهى ﷺ عن التشبه بهم في أعيادهم وقال عبد الله بن عمر « من أقام بأرض المشركين يصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت حشر يوم القيامة معهم » وقال الامام احمد : أكره حلق القفا ، هو من فعل المجوس ، ومن تشبه بقوم فهو منهم

فالتشبه بالمشركين والمغضوب عليهم والضالين من أهل الكتاب منهي عنه ولا بد من وقوعه في هذه الامة كما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ حيث قال « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر ، وذراعا بذراع حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه » قالوا يارسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال « فمن ؟ »

قال ابن عيينة : كان يقال من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى

ووجه هذا أن الله ذم علماء اليهود بأكل السحت ، وأكل الاموال بالباطل والصد عن سبيل الله ، وبقتل النبيين بغير حق ، وبقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس ، وبالتكبر عن الحق وتركه عمداً خوفا من زوال المآكل والرياسات

وبالحسد وبقسوة القلوب ، وبكتمان الحق ، وتلبيس الحق بالباطل ، وكل هذه الخصال توجد في علماء السوء من أهل البدع ونحوهم . ولهذا تشبهت الرافضة باليهود في نحو من سبعين خصلة

وأما النصارى فذمهم الله بالجهل والضلالة ، وبالغلو في الدين بغير الحق ، ورفع المخلوق إلى درجة لايستحقها ، حتى يدعى فيه الالهية . واتباع الكبراء في التحليل والتحريم . وكل هذا يوجد في جهال المنتسبين إلى العبادة من هذه الامة

فمنهم من يعبد بالجهل بغير العلم بل يذم العلم وأهله ، ومنهم من يغلو في بعض الشيوخ فيدعي فيه الحلول ، ومن يدعي الحلول المطلق والاتحاد ، ومنهم من يغلو فيمن يعتقده من الشيوخ كما يغلو النصارى في رهبانهم ويعتقدون ان لهم أن يغلو في الدين ماشاؤا ، وأن من رضي عنه غفر له ، ولا يبالي بما عمل من عمل ، وأن محبتهم لايضر معها ذنب

وقد كان الشيوخ العارفون ينهون عن صحبة الاشرار ، وأن ينقطع العبد عن الله بصحبته الاخيار ، فمن صحب الاخيار بمجرد التعظيم لهم والغلو فيهم زائداً غلواً عن الحد وعلق قلبه بهم فقد انقطع عن الله بهم ، وانما المراد من صحبة الاخيار أن يوصلوا من صحبهم إلى الله ويسلكوا طريقه ويعلموه دينه

وقد كان النبي ﷺ يحث أهله وأصحابه على التمسك بالطاعة ويقول « اشتروا أنفسكم من الله ، لاأغني عنكم من الله شيئاً » وقال لاهله « إن أوليائي منكم المتقون يوم القيامة ، لايأتي الناس بالاعمال وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم فتقولون : يامحمد . فأقول : قد بلغت » ولما سأله ربيعة الاسلمي مرافقته في الجنة قال « فاعني على نفسك بكثرة السجود »

فانما يراد من صحبة الاخيار اصلاح الاعمال والاحوال والاقتداء بهم في

ذلك ، والانتقال من الغفلة إلى اليقظة ، ومن البطالة إلى العمل ، ومن التخليط إلى التكسب والقول والفعل إلى الورع ، ومعرفة النفس وآفاتها واحتقارها ، فأما من صحبهم وافتخر بصحبتهم وادعى بذلك الدعاوي العريضة وهو مصر على غفلته وكسله وبطالته فهو منقطع عن الله من حيث ظن الوصول اليه، كذلك المبالغة في تعظيم الشيوخ وتنزيلهم منزلة الانبياء هو المنهي عنه

وقد كان عمر وغيره من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم يكرهون أن يطلب منهم الدعاء ويقولون « أنبياء نحن ؟ » فدل على أن هذه المنزلة لا تنبغي إلا للانبياء عليهم السلام ، وكذلك التبرك بالآثار فانما كان يفعله الصحابة رضي الله عنهم مع النبي ﷺ ولم يكونوا يفعلونه مع بعضهم ببعض ولا يفعله التابعون مع الصحابة، مع علو قدرهم

فدل على أن هذا لا يفعل إلا مع النبي ﷺ مثل التبرك بوضوئه وفضلاته وشعره وشرب فضل شرابه وطعامه .

وفي الجملة فهذه الاشياء فتنة للمعظم وللمعظَّم لما يخشى عليه من الغلو المدخل في البدعة . وربما يترقى إلى نوع من الشرك . كل هذا انما جاء من التشبه باهل الكتاب والمشركين الذي نهيت عنه هذه الامة . وفي الحديث الذي في السنن « ان من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم ، والسلطان المقسط ، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه » فالغلو من صفات النصارى ، والجفاء من صفات اليهود ، والقصد هو المأمور به

وقد كان السلف الصالح ينهون تعظيمهم عن غاية النهي كأنس والثوري وأحمد . وكان أحمد يقول : من أنا حتى تجيئون إلي ؟ اذهبوا اكتبوا الحديث، وكان إذا سئل عن شي، يقول: سلوا العلماء . وإذا سئل عن شيء من الورع يقول: أنا لا يحل لي أن أتكلم في الورع ،لو كان بشر حياً تكلم في هذا

وسئل مرة عن الاخلاص فقال : اذهب الى الزهاد ، أي شيء نحن حتى تجيء الينا ؟ وجاء اليه رجل فمسح يده على ثيابه ومسح بهما وجهه ، فغضب الامام أحمد وأنكر ذلك اشد الانكار وقال :عمن أخذتم هذا الامر؟

(الثاني) التشبه بأهل الخير والتقوى والايمان والطاعة فهذا حسن مندوب اليه ، ولهذا يشرع الاقتداء بالنبي ﷺ في أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته وآدابه وأخلاقه . وذلك مقتضى المحبة الصحيحة، فان المرء مع من أحب ،ولا بد من مشاركته في أصل عمله وان قصر المحب عن درجته

قال الحسن لا تغتر بقولك: المرء مع من أحب، ان من احب قوما اتبع آثارهم، ولن تلحق الابرار حتى تتبع آثارهم ، وتأخذ بهديهم ، وتقتدي بسنتهم ،وتمسي وتصبح وأنت على منهاجهم ، حريصاً أن تكون منهم ،وتسلك سبيلهم ، وتأخذ طريقتهم ،وإن كنت مقصراً في العمل. فان ملاك الامر أن تكون على استقامة . أما رأيت اليهود والنصارى وأهل الاهواء الردية يحبون انبياءهم وليسوا معهم لانهم خالفوهم في القول والعمل وسلكوا غير طريقتهم فصار موردهم النار ؟ نعوذ بالله من النار. كان يونس بن عبيد ينشد :

فانك من يعجبك لاتك مثله إذا انت لم تصنع كما كان يصنع

وجاء في الحديث « ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا »

فمن احب اهل الخير وتشبه بهم جهده فانه يلحق بهم كما في الحديث المشهور « من حفظ اربعين حديثا حشر يوم القيامة في زمرة العلماء » ومن احب اهل الطاعة والذكر - على وجه السنة - وجالسهم فانه يغفر له معهم وإن لم يكن منهم « فانهم القوم لا يشقى بهم جليسهم »

فأما التشبه بأهل الخير في الظاهر، والباطن لا يشبههم فهو بعيد منهم ، وإنما القصد بالتشبه أن يقال عن المتشبه بهم انه منهم وليس منهم فهذا من خصال النفاق

كما قال بعض « السلف استعيذوا بالله من خشوع النفاق ان يرى الجسد خاشعاً ، والقلب ليس بخاشع »

كان السلف يجتهدون في اعمال الخير ويعدون انفسهم من المقصرين المفرطين المذنبين ، ونحن مع اساءتنا نعد انفسنا من المحسنين

كان مالك بن دينار يقول ـ اذا ذكر الصالحون « أف ، أف لي وتف » وقال أيوب « اذا ذكر الصالحون كنت عنهم بمعزل » وقال يونس بن عبيد « أعد مائة خصلة من خصال الخير ليس فيَّ منها واحدة » وقال محمد بن واسع « لو ان للذنوب رائحة لم يستطع أحد أن يجلس إليّ »

يامن اذا تشبه بالصالحين فهو عنهم متباعد، واذا تشبه بالمذنبين فحاله وحالهم واحد ، يامن يسمع ما يلين الجوامد وطرفه جامد ، وقلبه أقسى من الجلامد ، يا من يرد قلبه عن التقوى ، كيف ينفع الضرب في حديد بارد ؟

يا نفس أنى تؤفكين ؟ حتى متى لا ترعوين ؟
حتى متى ، لا تعقلينا وتبصرين وتسمعينا ؟
يا نفس إن لم تصلحي فتشبهي بالصالحينا

آخره والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين

وافق الفراغ من نسخه يوم الاربعاء لتسع مضت من ربيع الثاني من شهور سنة ١٢٩٩ وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم

وقد تم طبع هذه المجموعة القيمة بمطبعة المنار الاسلامية لصاحبها أستاذنا العلامة المحقق خادم القرآن والاسلام السيد محمد رشيد رضا خليفة المصلح العظيم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، مد الله في حياته . ووقف على طبعها الفقير خادم السنة النبوية محمد حامد الفقي كان الله له معيناً . وصلى الله على محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم

